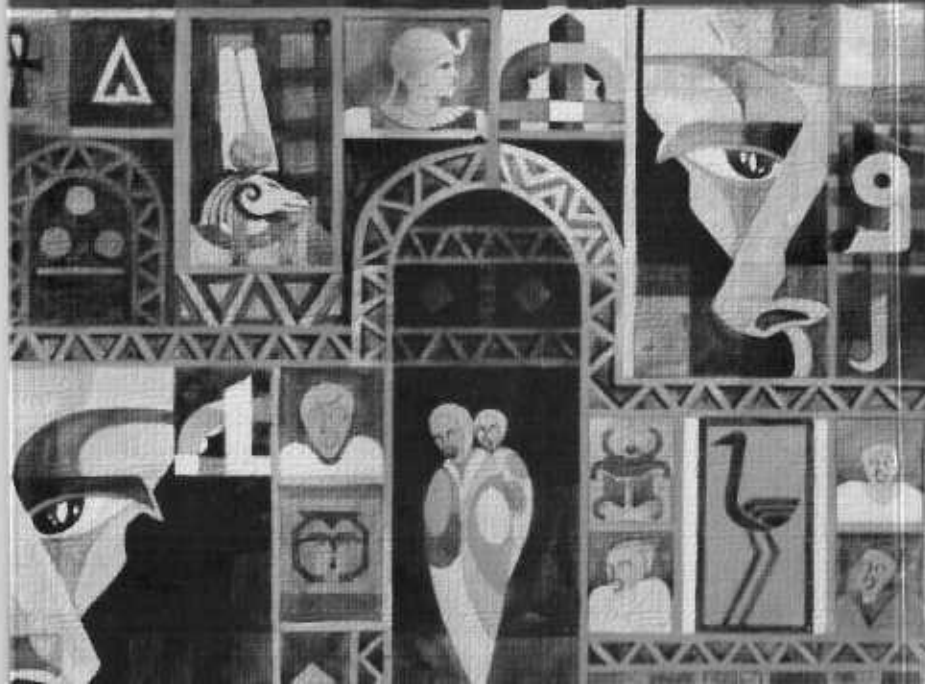


استكشاف العقلية الذكورية

كاملا بهاسين
Kamla Bhasin

ترجمة مجدي النعيم



استكشاف العقلية الذكورية

كاملا بهاسين
ترجمة: مجدي النعيم

Exploring Masculinity, Kmal Bhasin
by Women Unlimited, New Delhi 2004 first published in

استكشاف العقلية
الذكورية
Exploring Masculinity

كاملا بهاسين
Kamla Bhasin
ترجمة مجدي النعيم

تصميم
ايمن حسين



الله

الناشر



مركز أندلس لدراسات

الكحول والمخدرات، أو ارتكاب جرائم العنف كترىاق ضد الغضب والإحباط.

هناك صلة بين الذكورية والنزعة الإجرامية، وبين الذكورية والعسكرية. وتتضافر النزعات العسكرية والأبوية والذكورية وتعزز بعضها البعض، كما سنبين لنا (كاملاً بهاسين) في هذا الكتاب القيم. كما أن الإحصائيات تؤكد هذه السيطرة، إذ يتمتع الأولاد والرجال بالكثير من الإمتيازات والقوة في ظل الأبوية. فهم يسيطرون على كل المؤسسات المجتمعية ومعظم الموارد المادية. وطبقاً لإحصائيات منظمة العمل الدولية، يتحكم الرجال عموماً في ٩٩٪ من جميع الممتلكات، ويحصلون على ٩٠٪ من الدخل الموزع، في حين يقومون بـ ٣٣٪ فقط من إجمالي العمل في العالم. ويحتل الرجال ما يفوق الـ ٩٠٪ من مقاعد البرلمانات في العالم، وعلى ما يزيد عن ٨٠٪ من المواقع الإدارية. لكنهم أيضاً يرتكبون حوالي ٩٠٪ من الجرائم العنيفة، وحوالي ١٠٪ من حالات الإغتصاب. وأمام هذه الأرقام يبقى باب النضال مشرعاً لمناهضة هذه الذكورية، ليس من قبل النساء فحسب، بل الرجال أنفسهم.

إن التفكير الأبوي ليس مرفوضاً فحسب، بل يتعارض مع القوانين والإتفاقيات السارية اليوم. فطبقاً لدساتير كثير من البلدان، وكل إتفاقيات الأمم المتحدة، يتساوى الرجال والنساء، وهذا يعني أن اللامساواة التي يُجيزها كثير من القادة الدينيين، والتي تمارسها العديد من العائلات

إن الأفكار التي تصور النساء بوصفهن أدنى من الرجال، والتي تفرض عليهن القيود، حاضرة في كل مكان «العائلات، العلاقات الإجتماعية، الدين، القانون، المدارس، الكتب، الإعلام، المصانع، وفي المكاتب». وعندما تنصت الواحدة منهن إلى الأخرى يدركن أن هذا الإخضاع ليس هو قدر قليلات وسيئات الحظ منهن، ويدركن أن الأمر لا يكمن فقط في بضعة رجال «أشرار» يستغلون أو يقمعون بعض النساء، إذ يبدأن الإدراك أن ما يواجهنه هو نظام. نظام من سيطرة الرجال وتفوقهم وتحكمهم.

بعض الناس يؤمنون بأن الرجال ولدوا ليهيمنوا، وأن النساء ولدن ليخضعن، وهم يؤمنون أن هذا الترتيب كان موجوداً دائماً، وأنه سيستمر. وأنه مثل قوانين الطبيعة الأخرى لا يمكن تغييره. وهناك آخرون يرفضون هذه الآراء، ويقولون أن الأبوية ليست طبيعية، وأنها من صنع الإنسان، ومن ثم يمكن تغييرها. وها قد قادت التغييرات الإجتماعية - الإقتصادية إلى بعض التغييرات في أدوار وعلاقات النوع، فالبطالة الواسعة بين الرجال على سبيل المثال نزعَت عنهم إمتياز كونهم «المعيلين» وأصحاب «قفة الملاح» breadwinners. ففي بعض نواحي الهند وأجزاء أخرى من العالم تعمل النساء حوالي ٤٠٪ من العائلات. وقد أدى تراجع سلطة وإمتيازات الرجال في بعض مناحي الحياة إلى نشوء مشكلات نفسية واجتماعية لدى كثير من الرجال قادت بعضهم إلى ممارسة عنف أكبر ضد النساء، وإلى إدمان

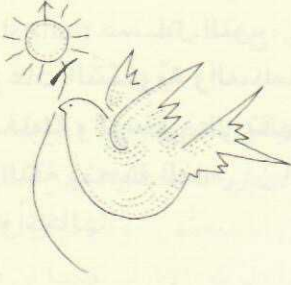
والمنظمات، هي سلوك غير قانوني. ربما تكون قوانيننا قد تغيرت، لكن ممارساتنا ونظمنا الأبوية ظلت باقية، لذا يجب على الرجال والنساء اللائي يؤمن بالمساواة ويحترمون سياسات بلدانهم، والاتفاقيات الدولية، أن يرفدوا ويرفدوا هذا المد العاتي والمتعاضم لمناهضة سيطرة الذكور، وفكرة الهيمنة الذكورية.

في بداية ثمانينات القرن الماضي جاء تبلور مفهوم النوع الاجتماعي «الجندر» عبر مسيرة مستمرة للفكر النسوي هادفاً إلى تحرير المرأة والرجل على السواء من أسر وهيمنة النظام الأبوي، ومن أجل إعادة صياغة الأدوار الاجتماعية بينهما لتحقيق المساواة والعدل الاجتماعي. وقد بين مفهوم النوع الاجتماعي «الجندر» أن المرأة ككيان مستقل عن الرجل لها ذاتها ووظيفتها ودورها في المشاركة المتساوية في عملية الإنتاج الاجتماعي، الثقافي، والسياسي، جنباً إلى جنب الرجل الذي يمثل كياناً مستقلاً أيضاً. وأن لكل منهما خصائصه البيولوجية والأدوار التي لا يستطيع أحدهما القيام بها عن الآخر، وإن كانا يكملان بعضهما الآخر، إلا أن هذا الاختلاف يجب ألا يتجاوز حدوده البيولوجية هذه، وألا ينسحب على الأدوار والوظائف المتشكلة اجتماعياً وثقافياً.

لقد تحدت النسوة الأفراد، والمنظمات النسائية، والباحثات النسويات الافتراضات الأبوية، والتحيزات على أساس الجنس في النظم الصحية والتعليمية والقانونية

في بلادهم. ونظمن مختلف الحملات لجعل هذه النظم أكثر مساواة من ناحية الجندر. وقد حلت المجموعات النسائية التحيز القائم على أساس الجنس في الإعلام، وفحص تقاريره، واقترحن أطراً توجيهية للإعلام، وطرحن البدائل. وبالمثل درسن تأثيرات سياسات وبرامج التنمية على النساء، وحاولن التفاعل مع الحكومات الوطنية في التخطيط للسياسات وفي تنفيذها.

وفي هذا الكتاب دعوة للمشاركة الواسعة. فقد تنكبت المنظمات النسوية وحدها ولزمن طويل، عبء ومسؤولية قضايا مثل العنف ضد المرأة، وكأنما الرجال لا صلة لهم بهذا العنف، وهذا أمر يجب أن يتغير. إذ على الرجال أن يساهموا إلى حصتهم من المسؤولية، وأن ينضموا إلى النضال السوي ضد العنف وغيره من القضايا الاجتماعية. ولكي يحدث ذلك لابد من تغييرات على مستويات مختلفة. فالنقلة في التفكير الإقتصادي، وفي النظم والهيكل ضرورية ليس كن هذا التفكير والنظم والهيكل تروج للنزعة الإستهلاكية، وإنما لأنها تفاقم من التفاوتات بين الناس، وتدمر البيئة. بالرغم من أن معظم نشاطات الخبيرة «كاملا بهاسين» توجه إلى مجتمعات جنوب شرق آسيا، إلا أن الأفكار والرؤى التحليلية التي تطرحها في كل مدوناتها تؤكد تقاطعات هذه الأفكار في كل المجتمعات والثقافات. وإيماننا من مركز سالمة لمصادر ودراسات المرأة بأهمية الترويج لهذه الأفكار والرؤى. فقد اضطلع المركز بترجمة ثلاثة كتب للأستاذة



لماذا بدأ العديد من الناس يتحدثون اليوم فجأة عن الذكورية؟

ركزت المرحلة الراهنة من الحركة النسوية في جنوب آسيا طوال حوالي الثلاثة عقود، على الإستخلاص المجحف القائل بأن النساء والفتيات قد بدأن يتعافين من وطأة مجتمعاتنا الأبوية. ونتيجة لجهود مضنية تبذلها أعداد ضخمة من النساء (وبعض الرجال) من كل الطبقات والطوائف والاتجاهات، بدأ الناس يعترفون بالعنف الواسع والمدمر، الذي يمارس ضد النساء، بوصفه قضية اجتماعية رئيسية. لقد جعلت هذه الجهود صنّاع القرار والمجتمعات وأعين حرمات واستغلال النساء والفتيات والتمييز ضدهن، ويعلن بتهميشهن في عمليات صنع القرار في المجالات الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية.

«كاملا بهاسين». الأول في العام ٢٠٠٣ بعنوان (فهم النوع الاجتماعي - الجندر) ليس للعربية فحسب، بل إلى لغات محلية مثل الدينكا، الشلك، النوير، وعربي جوبا، وذلك بمساعدة معهد (Summer Institute for Linguistic). ثم كتاب (ماهية النظام الأبوي) في العام ٢٠٠٧، كجزء من مشروع «نحو حركة من أجل إستئصال العنف ضد المرأة - Motive». وهذا هو الكتاب الثالث، وقد صدر بنيودلهي عام ٢٠٠٤ بعنوان (Exploring Masculinity)، وأختير له بعد مشاورات طويلة الإسم العربي (التيه - إستكشاف بواطن الذكورة) وبما أننا ندرك أهمية اللغة كوسيط لنقل الأفكار، فأننا نأمل في أن ينتشر هذا الجهد المترجم إلى العربية، ليجد مكاناً في خارطة الفكر الأفريقي والعربي، حتى يتم توطئ وتبيئة هذه الأفكار لتلائم الواقع في هاتين المنطقتين وفقاً لما هو متاح. ونأمل أن يشكل إضافة للجهود القائمة في مجالات مناهضة الأبوية، وتجديد دعوتنا للعيش في حب، وأن نعط السلام فرصة. فمثلما نحاول في الحركات النسوية أن نخلق نوعاً جديداً من النساء، نساء ينعمن بثمار التمكين، ناشطات، وفاعلات، لاضحايا، مساندات لغيرهن من النسوة، ومتعاونات، نحتاج إلى نماذج جديدة من الرجال، ومن الذكورة تسمح بأنماط السلوك والمشاعر المحجورة عليهم الآن، نماذج لا تقوم على مفاضلات القوة والسيطرة على النساء والرجال الآخرين.

أسرة مركز سالمة

لقد نجحت الحركة النسوية، وإن بدرجة محدودة، في إدماج mainstreaming مسائل النوع. وقد ساعدت أعداد كبيرة من المجموعات النسوية والمنظمات غير الحكومية نساء الطبقتين العاملة والوسطى على قلب النظر في الظلم الأبوي واكتساب الثقة وتعبئة الناس من أجل تحدي العديد من أوجه الأبوية وأشكالها.

لقد حاولت العديداً منا فهم نزعاتنا الأبوية الراسخة وتغيير أنفسنا ومساعدة النساء الأخريات على تغيير أنفسهن. فنظمت المجموعات النسوية ورش العمل لرفع الوعي بقضايا النوع، ونظمنا الحلقات التدريبية لتمكين النساء من أن يصبحن ناشطات، وبدأن عملية تمكين النساء من أجل تحقيق المساواة بين النوعين. وإلى جانب هذا برز حقل الدراسات النسوية كمقاربة متعددة التخصصات multidisciplinary لتحليل قضايا النوع.

إن النقاشات حول المساواة وحول العمل اللازم لتحقيقها هدفت، في الأساس، إلى تغيير أدوار واتجاهات وأوضاع النساء. وليس مستغرباً أن النساء أنفسهن قد أخذن زمام القيادة في هذا النضال الذي بدأت النساء وحياتهن بالتغير على إثره. ومع ذلك لم تحدث تغيرات مشابهة في حياة الرجال: فبينما كانت النساء ينتظمن من أجل التغيير، لم يبذل معظم الرجال سوى القليل، أو لا شيء، من الجهد، في

هذا المجال. وفي الواقع فقد قاوم الرجال على وجه العموم التغيير، بل قاوموه بعنف أحياناً.

كان هذا التركيز الحصري، تقريباً، على النساء، بوصفهن من سيتحدثن اللامساواة بين النوعين، ضرورياً؛ لأن النساء هن من أخضعن، وما تزال، البنات الأبوية. لكن العديداً منا يدركن الآن أن علينا أن نركز أيضاً على الرجال، وعلى النزعة الذكورية. فعلى الرجال والنساء على السواء أن يتغيروا إذا ما أردنا للعلاقات بين النوعين أن تصبح أكثر مساواة وعدلاً. ويتطلب تغيير هذه العلاقات أن نفهم فكرة الذكورية، وماذا تفعل في الرجال والنساء، وتغيير هذه الفكرة، حيثما كان ذلك، ضرورياً.

من المهم أن يصبح الرجال شركاء في الحركة المناهضة للأبوية؛ لأن الأبوية لا تؤذي النساء وحدهن، بل تلحق الأذى بالرجال أيضاً، بتضييق خياراتهم وحشرهم في قمصان حديدية، وبتجريدتهم من إنسانيتهم. ففي بلدان مثل السويد بدأت النقاشات حول الرجال والذكورية منذ وقت طويل يعود إلى السبعينيات كاستجابة للحركة النسوية وللتغيرات الاقتصادية والسياسية. لكن هذه النقاشات والسياسات والبرامج تأخرت كثيراً في البلدان الأخرى.

فأعني أننا يجب أن نفهم فكرة الرجال وفكرة الذكورية

لأسباب التالية:

• مسائل النوع ليست من القضايا

التي تهتم النساء وحدهن. إننا

بحاجة إلى إدراك أن «الأنوثة» لا

تقوم في معزل عن «الذكورة».

فصورة ونفوذ أحدهما تحدد

صورة ونفوذ الأخرى. والنساء

يُعتبرن «أدنى» فقط عندما يُعتبر الرجال «متفوقين». كما

وتخضع النساء فقط عندما يكون الرجال راغبين وقادرين

على إخضاعهن.

• لقد تنكبت المنظمات النسوية وحدها ولزمن طويل،

عبء ومسئولية قضايا مثل العنف ضد المرأة، وكأنما

الرجال لا صلة لهم بهذا العنف. وهذا أمر يجب أن يتغير.

على الرجال أن يبادروا إلى حصتهم من المسؤولية، وأن

ينضموا إلى النضال النسوي ضد العنف وغيره من القضايا

الاجتماعية.

• يعاني الأولاد والرجال من القوالب القائمة في المجتمع

الأبوي. فالأولاد يُشجعون على أن لا يكونوا عاطفيين ورقيقين

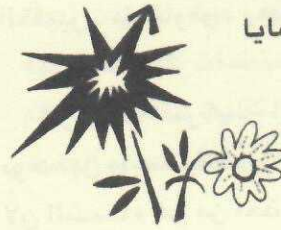
الحاشية ومهتمين بالآخرين، أو على عدم الاعتراف بالضعف

والخوف. فهم يدفعون دفعا إلى دور المعين والحامي

والمحارب. لذلك من الضروري الاهتمام بالذكورية وما

تفعله في الأولاد والرجال.

• لا يستطيع معظم الرجال العيش وفق ما تتطلبه فكرة



الذكورية المهيمنة، ويواجهون السخرية، إذا لم يكونوا
قساة. فالأولاد رقيقين الحاشية يواجهون الضغط والاستغلال
الجنسي بواسطة الرجال الأشد قوة. فالتشديد على الرجولة
المفرطة والملامح والأداء الجنسي الذكوريين يقود إلى
زعزعة الأمان والقلق عند الرجال إلى حد بعيد. لقد تأخر
الفهم والنقاش الحساس حول هذه القضايا كثيراً.

• يحتاج الرجال أن يفهموا إلى أي مدى ترتبط النزعة

الذكورية بسلوكهم المغامر، خاصة في سياق الإيدز/

نقص المناعة المكتسبة، والمخدرات، والكحول والأنشطة

عالية الخطورة. وهذه النشاطات لا تعرض الرجال الذين

يمارسونها وحدهم للخطر، لكنها أيضاً تعرض آخرين كثر

للخطر، خاصة النساء.

• لقد كشفت البحوث حول الإنجاب والإيدز والنشاطية

الجنسية sexuality إلخ، أن النساء يمكنهن خيارات محدودة

في هذا الشأن، وأنهن أكثر انكشافاً أمام الأمراض المنقولة

جنسياً والإيدز، ويعزى كل ذلك بشكل رئيسي إلى العلاقات

غير المتكافئة بين النوعين.

• لقد حاولت المنظرات النسويات والحركات النسوية

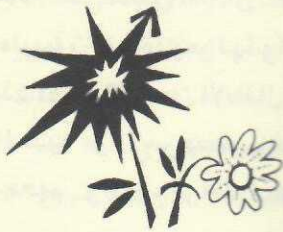
فهم الأبوية بوصفها نظاماً

اجتماعياً. وبدلاً من اللجوء

إلى العنف والتحرّيش ضد

النسوية، علينا تشجيع

الرجال على الانخراط في



قضايا النوع التي تطرحها النسويات والاعتراف بأن هذه المسائل تطال الرجال والنساء على السواء.

• لقد قادت التغيرات الاجتماعية-الاقتصادية إلى بعض التغيرات في أدوار وعلاقات النوع؛ فالبطالة الواسعة وسط الرجال، على سبيل المثال، نزعت عنهم امتياز كونهم «المعيلين» وأصحاب «قَفَّة المَلّاح» breadwinners. ففي بعض نواحي الهند وأجزاء أخرى من العالم تعول النساء حوالي 40٪ من العائلات. وقد أدى تراجع سلطة وامتياز الرجال في بعض مناحي الحياة إلى نشوء مشكلات نفسية واجتماعية لدى كثير من الرجال. وقد يكون هذا التدهور في القوى الاقتصادية والاجتماعية للرجال داخل العائلات وفي المجتمعات كارثياً؛ مما يدفع بعض الرجال إلى ممارسة العنف أكبر ضد النساء وإلى إدمان الكحول والمخدرات أو ارتكاب جرائم العنف كترقيق ضد الغضب والإحباط.

• تتزايد معدلات الطلاق في العديد من أنحاء العالم. ففي الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وبلدان شمال أوروبا، هناك أربعون حالة طلاق بين كل مائة زيجة. وأصبحت الأسرة التي يعولها واحد من الأبوين، وعادة ما تكون الأم، أكثر شيوعاً. في الولايات المتحدة، على سبيل المثال، كان حوالي ثلث الأسر في ١٩٩٨ (١٢ مليون أسرة) يعولها واحد من الأبوين. وينحدر من مثل هذه الأسر ١٣٪ من الأطفال في بلدان الاتحاد الأوروبي. وتنهار العديد من الأسر بسبب رفض الرجال قبول تساوي النساء معهم. واليوم ترفض بعض

النساء الزواج لأنهن لا يرغبن في حمل مسؤولية الأسرة وتنشئة الأطفال وحدهن، وفوق ذلك تسيد الرجال عليهن. وهذا اتجاه واضح، خاصة في البلدان الصناعية.

• وثمة سبب آخر مهم يدعونا لفهم الرجال والذكورية. هو أن الذكورية المهيمنة هي سبب الكثير من المشكلات التي تواجه عالم اليوم. ففي معظم الحالات يكون الرجال هم الطرف الذي يمارس العنف ضد النساء، ومعظم النزاعات العنيفة والحروب إنما يشعلها ويقودها رجال؛ فالرجال يسيطرون ويوجهون الكثير من الموارد وعمليات صنع القرار. إن الرجال هم من يسيرون هذا العالم، والعالم كما نعلم ليس عادلاً ولا آمناً. فالملايين من البشر يستطيعون بالكاد البقاء على قيد الحياة.

• لقد نادت الحركة النسوية العالمية بالمساواة والتنمية والسلام. وستظل هذه الأهداف غير قابلة للتحقيق إذا لم نتحدى الذكورية (والنزعة العسكرية). ولن تتمكّن النساء من تسنّم المواقع والمسؤوليات في المجال العام (أجهزة الحكم المحلي على سبيل المثال) إلا إذا حدثت إعادة لتقسيم العمل وعاد الرجال إلى مطبخ الأسرة وشاركوا في رعاية الأطفال. وبدون ذلك ستكون المشاركة في الحياة العامة والاستقلال الاقتصادي أموراً صعبة المنال على النساء.

• رغم أننا ظللنا نتحدث عن النساء بوصفهن ضحايا للعنف الذكوري، إلا أننا لم نؤلّ عناية كافية لمسألة لماذا يصبح الرجال عدوانيين؟ لماذا يندلع العنف في ملاعب كرة

resolute, robust, stout-hearted, strapping, strong, vigorous, well belt وتعني ذكر، شجاع ذو عزم، خليق بالرجال، مسترسل، قوي، جريء، شجاع، ذو نخوة، زير نساء، جسور، قوي، قوي ذو عضل، جبار، مفعم بالحياة، ذو تصميم، غليظ، ذو قلب جريء، نشط، قوي البنيان. يا للهول!!! هذه القائمة من المترادفات تقول لنا كيف ترى مجتمعاتنا الشرقية والغربية الرجل الحقيقي. إذن فالذكورة هي تعريف اجتماعي أسبغته المجتمعات على الأولاد والرجال، والذكورة، مثلها مثل الجندر، تصوّر اجتماعي. إن الطبيعة تجعل منا ذكراً أو أنثى، لكن المجتمع هو الذي يصنع منا رجلاً أو امرأة. فالمجتمع يحدد كيف ينبغي أن يتصرف الأولاد/الرجال، وكيف يلبسون وكيف يظهرون، أي اتجاهات وخصائص ينبغي أن يحوزوا وكيف يجب أن يعاملوا إلخ.. إذن فالذكورة، كصفة، هي تصوّر اجتماعي-ثقافي. وهذا ما يفسّر لماذا يمكن أن تختلف الذكورة، وكثيراً ما تختلف بالفعل، من مجتمع إلى آخر ومن وقت إلى آخر. فالذكورة، مثلها مثل الجندر، ليست ثابتة، فهي يعاد بناؤها باستمرار، وقد تظل تتغير استجابة لتغيرات النمط الاقتصادي، أو الكوارث الطبيعية أو الكوارث من صنع البشر، أو الحرب أو الهجرة. وهذا ما يفسّر أيضاً لماذا تظهر أشكال مختلفة من الذكورة؛ فالذكورة بين الطبقة العاملة أو بين البرجوازية أو وسط المثقفين، تختلف تماماً عن ذكورة رعاة البقر، وقد تختلف الذكورة عند اليابانيين

القدم، أو في الشوارع بين حين وآخر؟ كيف يتحوّل الرجال إلى ممارسة القتل وإشعال النار في البشر والممتلكات؟ لماذا، وكيف يصبح بعض الرجال متوحّشين يغتصبون فتيات وفتياناً صغاراً، ويغتصبون زوجاتهم وبناتهم؟ ما الذي يفعله هذا النوع من النزعة الذكورية في الرجال؟ ومثلما هو مهم أن نعرف ما تفعله الأبوية في النساء، مهم أيضاً أن نفهم ما تفعله في عقول وخيال ونفسية الرجال. إذا أردنا خفض العنف والصراعات والحروب: إذا أردنا السلام، وإذا أردنا علاقات ذات معنى، وإذا ما كنا معنيين بالتنمية المستدامة، فعلياً أن نفهم الرجال والذكورية، وأن نطوّر شراكة بين الأولاد/الرجال وبين الفتيات/النساء لتحقيق هذه الغايات. وبإمكان النساء، بل ينبغي عليهن قيادة هذه الحركة، لكن على الرجال أن ينضموا لها بأعداد كبيرة.

ما الذي نعنيه بالضبط بعبارة «الذكر» و«الذكورية»؟

مذكر masculine تعني، طبقاً لقاموس أكسفورد الانجليزي، امتلاك خصائص أو مظهر يرتبط تقليدياً بالرجال. ويقدم قاموس كولينز المترادفات التالية لـ مذكر male, manful, manlike, manly, mannish, virile, bold, brave, butch, gallant, hardy, macho, muscular, powerful, Ramboesque, red-blooded.

الأبوي نجد أن علاقات الجندر تراتبية وغير متكافئة، إن
تتعرض النساء للتمييز ضدهن وللإخضاع.



كثيراً ما لا يتيح الصراع العنيف ولا
يشجع سوى ظهور أنماط من الذكورة،
عدوانية وعنيفة وعسكرية، كما يهْمش
ويزيّف ويعاقب ما يُطرح من بدائل
لها. وتُكشَفُ البحوث التي أجريت في
يوغسلافيا ويوغندا وإسرائيل وجنوب آسيا أن الرجال
الذين يعتنقون تصوّرات بديلة للذكورة في أزمنة
الصراعات العنيفة - ذكورة مسالمة بدلاً عن الذكورة
القتالية - يواجهون ضغطاً اجتماعياً قوياً، وإدانة،
بل واضطهاداً إذا ما رفضوا، على سبيل المثال، أداء
الخدمة العسكرية.

Dubravka Zarkov SANGAT report، 2002 غير منشور

لا تقع الذكورة بمعزل عن الأنوثة. وبمعنى ما، فالأنوثة
هي ذكورة سلبية: فالمرأة هي ما ليس رجلاً. وفي معظم
المجتمعات، الذكورة والأنوثة هما مرآة بعضيهما البعض؛
حيثما كان يُتَوَقَّع أن يسود الرجال وأن يسيطروا، يجب أن
تكون النساء خائعات؛ وإذا كان للرجال أن يأمرُوا فعلى
النساء أن يطعنن؛ وإذا كان مسموحاً للرجال أن يكونوا
حاميين الطبع، فعلى النساء أن يكنّ صبوراً، وهكذا. لا

عنها عند الأوروبيين أو الهنود، وتختلف الذكورة المهيمنة
عن الذكورة المهمّشة. وهذا ما يفسّر لماذا يكون من الأفضل
أن نتحدث عن ذُكُورَات (أي أنماط من الذكورة) بدلاً عن نمط
واحد.

النوع (الجندر)



الجندر مفهوم جديد. وهو التعريف الثقافي-
الاجتماعي الذي يُشَدُّ إلى الأولاد
والبنات: الرجال والنساء. ففي حين
تجعل الطبيعة مناً إناثاً وذكوراً، يصنع
المجتمع مناً رجالاً ونساء. فالجندر
والمجتمع هما ما يحدّدان المظهر والاتجاهات
والسلوك والأدوار والمسؤوليات والحقوق وقرص النفاذ إلى
الموارد والسيطرة عليها إلخ بالنسبة للفتيات/النساء والأولاد/
الرجال. وبتعبير آخر، فالجندر مفهوم اجتماعي يشير إلى
الأفكار والقيم والعادات والممارسات التي تُحوّل وتُضخّم
بواسطتها الفروقات البيولوجية إلى نظام اجتماعي أوسع.
وبسبب وجود الأبوية تغيب المساواة بين النوعين عن
عالمنا الراهن.

إن علاقات النوع (الجندر) هي العلاقات التي تقوم على
أساس الجندر بين الرجال والنساء، وبين النساء أنفسهن،
وبين الرجال والرجال. وبسبب الأيديولوجيا والنظام

معنى لأحدهما دون الآخر. إذا سيطر الرجال ورفضت النساء الاستسلام، سيعتزع «السلام» و«الانسجام» وسينفطر عقد الأسر «الأمنة». لكن صورة الرجال ومكانتهم وخصائصهم تظل هي المعيار.

وفي ظل الأبوية، يكون حال الذكورة بالنسبة للأنوثة حال الطوائف العليا بالنسبة للطوائف الدنيا في النظام الطائفي. أحدهما يحكم والآخر يحكم: أحدهما أسمى والآخر أدنى.

يبدو ما تقوله الكاتبة السوداء توني موريسون في المقطع أدناه عن الإفريقية والذات الأمريكية منطبقاً على الأنوثة والذات المذكورة في ظل الأبوية. تقول «الإفريقية هي الأداة التي تعرف بها الذات الأمريكية نفسها بوصفها ذاتاً ليست مستعبدة، بل حرة؛ ليست منفرة، بل مرغوبة؛ ليست قليلة الحيلة، بل ذات حول وسطوة؛ ليست بلا تاريخ، بل تاريخية؛ ليست ملعونة، بل بريئة؛ ليست حادثة عمياء نتجت عن التطور، بل تحقق تقدمي للقدر.»

اللعب في الظلام، ص ٥٢

يسمى أي شخص يحمل ما يسمى بالمسحة الذكورية أو الأنثوية ذكراً أو أنثى. ومن باب السخرية يسمى الرجال المهذبون رقيقو الحاشية إنثاءً، ومن الناحية الأخرى

تسمى النساء القويات والمسيطرات مسترجلات أو ذكوراً. والمتخئون Transvestite أو الـ «هجراس» Hijras في الثقافة الهندية هم ذكور من الناحية البيولوجية لكنهم إناث من ناحية المظهر والسلوك. إذن فالأنوثة والرجولة ليستا تصنيفين بيولوجيين، رغم أنهما يُربطان في معظم الحالات بالرجال والنساء البيولوجيين.

الأبوية

الأبوية هي نظام اجتماعي وأيديولوجي يعتبر الرجال متفوقين على النساء؛ نظام يملك فيه الرجال سيطرة أكبر على الموارد وصنع القرارات. وتتشكل الأبوية تاريخياً، وقد يكون شكلها ومحتواها ونطاقها مختلفاً باختلاف السياقات والأزمان.

ومثل كل النظم المجتمعية، فالأبوية لها أيديولوجيا وبنية تكفلان وضع الرجال على رأس العائلات، ووراثة اسم وممتلكات الأسرة. وعلاوة على ذلك فكل المؤسسات المجتمعية يسودها الرجال.

لقد أشرت إلى أن الذكورة قد تختلف عبر الزمان، ومن جماعة إلى أخرى، لكنها مرادف للقوة والسلطة والسيطرة والعدوان في كل الأماكن تقريباً. هل يمكنك شرح ذلك؟ ما تقولينه صحيح. رغم أن هناك ذكورات وذكورات؛ والذكورة عادة تعني امتلاك خصائص، مثل القوة والحزم

والإقدام والإستقلالية والسلطوية والطموح. وتُعتبر كل من السلطة والقيادة والسيطرة على الآخرين علامات مهمة على الذكورة حتى على مستوى العالم. «ويُعتبر الرجال عادةً عدوانيين وحازمين ومستقلين وميَّالين للتنافس وغير حسَّاسين. وتقوم هذه الخصائص على الإعتقاد بأن هناك شيئاً ما في الرجال يتجاوز وضعهم المتعَّين. ويُنظر للرجال بوصفهم يمتلكون طبائع تحدد سلوكهم في كل الأوضاع».

قد تتغير الأفكار حول الذكورة، وقد يلبس الرجال زياً مختلفاً، وقد تنهار «أخلاقيات الرجل كاسب الرزق»، لكن هذا التغير لا يغير سلطة الرجل في ذاتها.

إن «الذكورة» دائماً متعيَّنة وخاضعة للتغير. «لكن ما لا يتغير»، حسبما يقول آرثر بريتين، «هو تبرير وتطبيع سلطة الرجل (أي جعلها كشيء من الطبيعة) أو أيديولوجيا الذكورة».

إذن فالذكورة لا علاقة لها بالبيولوجيا أو هورمونات الذكورة؟

حسناً، البعض يعتقد أن الذكورة هي سمة يولد بها الرجال. وهم يعتقدون أيضاً أن عدوانية الرجال ونشاطيتهم الجنسية وجوانب سلوكهم الأخرى لها علاقة بأجساد وبيولوجيا الرجال الحيوية وهورموناتهم. ويمضي بعض

الناس أبعد من ذلك ليقولوا إن الدافع الجنسي للرجال يقوم على عضوهم الذكري المستقل عنهم! ومثل هذه الآراء تجعل من الرجال عبيداً للبيولوجيا. إذا قبلنا وجهة النظر هذه، سيكون علينا أن نوَّمن بما يترتب عنها، أي أن كل الرجال عدوانيون ومسيطرون وعنيفون وأن لا أحد منهم مختلف، لأن التركيبة البيولوجية لا يمكن تغييرها.

أنا لا أقر هذه النظرة. فأنا أوَّمن أن كلاً من الأنوثة والذكورة هما مفهومان اجتماعيان. فبيولوجيا الرجال وكيمياؤهم الحيوية لا تصنع منهم أناساً مسيطرين وعدوانيين وميَّالين للتنافس.

وبينما تميَّز أن أوكلي: النسوية البريطانية التي درست وكتبت عن الجندر، بين الجنس (البيولوجي) وبين النوع (الذكورة والأنوثة اللتين تتشكلان اجتماعياً)، تقول «إن الجنس مصطلح بيولوجي، والجندر مفهوم نفسي وثقافي. ويعلمنا الحس السليم أنهما محض طريقتين للنظر لنفس التقسيم، وأن من ينتمي، فلنقل لجنس الإناث، ينتمي بشكل آلي إلى نوع النساء. وفي الواقع الأمر ليس كذلك. أن تكون رجلاً أو امرأة، صبيّاً أو فتاة، فالأمر يتعلق بالزي والإيماءات والمهنة وشبكة العلاقات الاجتماعية والشخصية أكثر من امتلاك أعضاء تناسلية معينة». يعرف روبرت ستولر في كتابه (الجنس والجندر) العلاقة

... باستثناءات قليلة ، هناك جنسان: ذكر وأنثى. ولتحديد الجنس فعلى المرء أن يختبر الشروط الجسدية التالية: الكروموزومات، والأعضاء التناسلية الخارجية، والحالات الهرمونية والخصائص... ومن ثم يتحدد جنس الشخص من خلال الجمع الجبري لكل هذه الخصائص، وكما هو واضح، يقع معظم الناس تحت واحد من المنحنيين الجرسيين BELL CURVES أحدهما يسمى «الذكر» والآخر «الأنثى»....

والجنس مصطلح يحمل معان سيكولوجية وثقافية أكثر منها بيولوجية، وإذا كانت العبارات المضبوطة لتمييز الجنس «ذكر» و«أنثى» فإن العبارات المقابلة لتمييز النوع هما «مذكر» و«مؤنث»، وقد تكون هاتان الصفتان الأخيرتان المتعلقتان بالنوع مستقلتين تماماً عن الجنس. والنوع يدل على درجة الذكورة والأنوثة الموجودة في الشخص، وواضح أنه بينما هناك خليط من الاثنين في العديد من البشر، يحمل الذكر العادي خصائص ذكورية مهيمنة بينما تهيمن الخصائص الأنثوية على الأنثى العادية مرجحة أنوثتها.

الجنس يشغل على مستويات اجتماعية مختلفة

١- مستوى الهوية الذاتية: المستوى الذي نتعلم فيه (أو نجبر فيه على تعلم) ماذا يعني أن تكون رجلاً أو امرأة في مجتمع محدد بكل ما يستتبع ذلك.

٢- مستوى الممارسة المؤسسية: النظام التعليمي (حيث نتعلم الفتيات العلوم المنزلية ويتعلم الأولاد الرياضيات)، وسوق العمل (حيث فكرة أن الرجل هو من يكسب العيش لأسرته)، والجيش (حيث افتراض الجندي الذكر حامى النساء والأطفال)، وتنظيم الحياة السياسية (حيث افتراض أن السياسي ذكر).

٣- مستوى الأيديولوجيات والعقائد: النظم الفكرية مثل العقائد الدينية والسياسية، والأيديولوجيات الوطنية والمجتمعية (معاييرها وقيمها) وافتراساتها حول النساء والرجال، وحول الأنوثة والذكورة (النساء كحاميات للتقاليد والهوية الجمعية، والرجال كحماة للأرض والحدود على سبيل المثال).

٤- المستوى الرمزي: إن الذكورة والأنوثة حاضرتان في العلامات التي تستخدم للدلالة على كل ضروب المعايير والخصائص والفضائل والردائل (الحرية، الديمقراطية، الأرض الأم/وطن الآباء، العقل كمذكر، العواطف كمؤنث، السلطة كمذكر، قلة الحيلة كمؤنث).

Dubravka Zarkov -

SANGAT report 2002

لا يولد الأطفال قساة. وبإمكانهم أن يصبحوا ودودين ومحبين وقادرين على التعبير عن عواطفهم، مثلهم مثل الفتيات. لو لم يكن المجتمع يجردهم من هذه الخصائص بشكل منهجي. كلنا نعرف رجالاً رقيق الحاشية، يعتنون بالآخرين ولا يحركهم التنافس. وكذلك نعرف رجالاً قد يكونون أزواجاً عدوانيين ومسيطرين، لكنهم يتصرفون مثل كائنات مذعورة أمام رؤسائهم. وهذا يعني أن الرجال يبدون ذكوريين (العدوانية والسيطرة) عندما يمسكون السلطة بأيديهم، ويتصرفون بشكل أنثوي (اتباع الأوامر والخضوع) عندما يكونون في وضع الرضوخ. إذن فالذكورة والأنوثة تتعلقان بالسلطة أكثر مما تتعلقان بالبيولوجيا.

عندما نتحدث إحصائياً عن أن «الرجال» مسؤولون عن معدلات من جرائم القتل إلخ أعلى من النساء، علينا أن لا ننزلق إلى استنتاج أن كل الرجال عنيفين. فكل الجنود تقريباً رجال، لكن ليس كل الرجال جنود، وعلى الرغم من أن معظم القتلة رجال، لكن معظم الرجال لا يرتكبون القتل أو الاعتداءات، وعلى الرغم من أن عدداً هائلاً من الرجال يرتكبون جرائم الاغتصاب، إلا أن معظم الرجال لا يتورطون في هذا الضرب من الجرائم.

إننا نؤمن أن الاتجاهات والسلوك والسمات الاجتماعية يتم تعليمها وتعلمها اجتماعياً؛ فنحن نشربها من خلال

التنشئة والجندرة التي تحدث داخل الأسرة والمدرسة والمؤسسات الدينية إلخ. ولأن التنشئة والجندرة تبدأ منذ لحظة ميلادنا (وأحياناً قبل ذلك)، فصفات الذكورة والأنوثة تبدو كأنها صفات طبيعية يولد بها الفرد. ولو كان الأمر كذلك لما كان هناك رجل رقيق الحاشية ومعتن بالآخرين، ولما وجدنا امرأة عدوانية ومسيطرة. ومع ذلك فمثل هؤلاء النساء والرجال موجودون. الأمر المهم أن هذه الاختلافات موجودة وسط الرجال والنساء على الرغم من عملية الجندرة الدائرة على مدار الساعة. تخيل فقط كم سيكون هناك من التنوع إذا لم تكن الضغوط الأيديولوجية والمادية تدفع بالصبيان والفتيات والرجال والنساء إلى أنماط من السلوك والأنوار المعدة سلفاً.

إذا كانت السمات الجندرية هي سمات طبيعية يولد بها الفرد لماذا إذا تنفق المجتمعات والثقافات الكثير من الوقت والطاقة والموارد في تعليم الأطفال أدوار النوع الخاصة بهم؟ لماذا يربي الآباء أطفالهم ليكونوا «ذكوراً» أو «إناثاً»؟ لماذا تؤيد المؤسسات الاجتماعية والدينية هذه الاختلافات من خلال مدونات سلوك مختلفة للرجال والنساء؟

ماذا يعني مصطلحا «الذكورية» و«الذكورية المهيمنة»؟ تعني الذكورية، في الأيديولوجيا الأبوية، أن الرجال والذكورة متفوقان على النساء والأنوثة. وتؤمن الذكورية

بتفوق الذكور وسيطرتهم وتبرّر هذه السيطرة، فهي تجعل من الذكورة صفة طبيعية، مما يجعلها أمراً لا يمكن تجنبه أو المساومة عليه.

«مهيمن» تعني القيادة التي تسيطر وتمسك بزمام كل شيء. ومن ثم فالذكورية المهيمنة هي ذكورية مفرطة في سلطتها. وهذا الشكل من الذكورية يدور حول القوة وتأكيد السلطة على الآخرين. إذن فالذكورية تختلف عن الأنثوية لأنها في موقع القيادة والسيطرة. والذكورية المهيمنة تستدعي الخضوع.

هل صحيح أن الرجال أكثر عقلانية من النساء، وأن النساء يمثلن الطبيعة والرجال يمثلون الثقافة؟
كثيراً ما نسمع عن الثنائيات التالية:

الطبيعة	الثقافة
الجسد	العقل
العاطفي	العقلاني
الذات	الموضوع

ويُفترض أن النساء يمثلن كل ما ورد على القائمة اليمنى أعلاه، ويمثل الرجال كل شيء على الجانب الأيسر، وكل شيء في قائمة الرجال متفوق! إذ يُفترض أن الثقافة متفوقة على الطبيعة؛ لذا فالقريبون من الطبيعة، أو يعيشون في تناغم

معيها يُعتبرون بدائيين ومتخلفين وفي حاجة إلى «التنمية». وكذلك فالعقل يتفوق على الجسد، والعقلانية على العاطفة. هذه الأساطير ليست أبوية فحسب، بل تؤبدها الهيمنة الطائفية والطبقية والعرقية والنظم الاستعمارية. ويُفترض أن السكان المحليين، والنساء، والسود، وكل العالم الثالث يمثلون كل ما ورد على الجانب الأيمن من هذه الثنائية. ولأن السلطة ترتبط بالجنس أو الطبقة أو الطائفة أو العرق أو البلد الأقوى، فالقوى الذكورية الأكثر سطوة تخضع القوى الأنثوية الأضعف. وهناك الكثير من الأمثلة الفظة في هذا الصدد، فالدول الغربية تستطيع اختبار أسلحتها النووية في المحيط الهادي ودفن نفاياتها الصناعية القذرة والسامة في العالم الثالث، وتصدير الأدوية المحظورة في بلدانها ناتها إلى العالم الثالث، وهكذا. وفي بلداننا يمكن بناء السدود حيث تعيش القبائل. وتحصل منازل ومزارع ومدن الأثرياء على الكهرباء، في حين تغمر المياه منازل وأراضي وأضرحة ومزارات السكان الأصليين. فالطبيعة (السكان الأصليون) تنصهر في الطبيعة، والمتحضرون يعيشون ويواصلون مشروعهم في تدجين الطبيعة ومن يعيشون في صلة وثيقة بها. إن هذه الثنائيات تمثل في الأساس علاقات قوة.

مرة أخرى، في حين تمثل البيولوجيا قدرًا بالنسبة للنساء، يستطيع الرجال تجاوز الطبيعة وتجاوز أجسادهم.

MASCULINITY BEWINDING

في كل ورش الجندر التي أدرتها، قال الرجال إن عائلاتهم تتوقع منهم أن يكونوا عنيفين وقساة، ومسيطرين دائماً. وليس مسموحاً لهم أن يعبروا عن مشاعر الضعف أو الانكشاف، إذ لا يفترض أن يستسلموا للبكاء أو يطلبوا المساعدة. وكأولاد، فقد منحوا أفضل ما تستطيع عائلاتهم تقديمه من طعام وفرص تعليمية، ولا يتوقع منهم أن يقوموا بآية أعمال منزلية أو أن يعودوا إلى المنزل قبل الغروب.

MASCULINITY BEWINDING

قالت النساء العكس من ذلك تماماً. فمجرد ميلادهن، لهن كن بناتاً، لم يكن محل ترحيب. وقد منحن حباً ورعاية وطعاماً وفرصاً تعليمية أقل من أشقائهن الذكور، وعلمن خدمة الآخرين، وأن يكن في آخر الصف في كل شيء.

تقوم هذه الجندرية التي تتم في الحياة الحقيقية على بيولوجيا ذكورية تجعل الرجال متفوقين. فهم رؤساء العائلات ووارثو السلالة والممتلكات. ومن ثم فهو نوع هي واقع وقضية بالنسبة للرجال مثلما هي بالنسبة للنساء.

صحيح أن النساء يحضن ويحملن ويلدن الأطفال، ومن ثم تمسك بتلابيبهن أنشطة تملئها عليهن البيولوجيا أو الطبيعة. لكن وبخلاف هذه الوظائف البيولوجية، يبدو أن النساء يسيطرن على أجسادهن أكثر من الرجال. فالكثير من الرجال يستسلمون أو هم غير قادرين على السيطرة على إلحاح الرغبة في الطعام أو الجنس أو الكحول. لقد اعتاد الرجال إشباع شهواتهم، حرفياً أو مجازياً، كما أن المعايير الاجتماعية والثقافية تشجعهم على الانغماس في الكثير من ضروب الإفراط. والشكل الوحيد الذي يمارسونه من السيطرة هو السيطرة على الآخرين.

كيف تجذرت فينا هذه الأفكار عن الذكورة والأنوثة؟ بما أن الذكورة والأنوثة لا تتحددان بيولوجياً، كان لا بد من تشكيلهما اجتماعياً وتلقينهما. ولكل ثقافة طرائقها في إسناد القيمة للفتيات والأولاد؛ حيث تنسب لكل منهما أنماطاً مختلفة من اتجاهات السلوك والخصائص والأدوار والحقوق والتوقعات. إن كل ضروب التنشئة الاجتماعية والثقافية التي تتم تجاه الفتيات والفتيان منذ ميلادهم وما يليه يسمى «جندرية». وعلى خلاف الجنس، الذي هو تصنيف بيولوجي، فإن هويات نوع الرجال والنساء (الجندر) هي هويات يتم بناؤها اجتماعياً وسيكولوجياً، ما يعني أنها تتحدد تاريخياً وثقافياً.

العائلات أضعف من أن تتعامل مع الرجال الأقوياء وغير الحساسين

يُتَوَقَّع من الرجال أن يسيطروا على نسائهم. فحتى كلمة (زوج) husband لا تعني الشراكة أو المساواة، بل تعني المسيطر أو المدير (تذكر عبارة تربية ورعاية الحيوان animal husbandry). وإذا كان الرجل الذي تتزوجه المرأة بالتعريف هو مالكها، إذن هل من عجب أن يظن أن له الحق في أن يفقد صبره ويضربها ليرؤسها أو يسيطر عليها؟ وبسبب هذه الأيديولوجيا لا يظن الرجال أن لهم الحق في هذه السيطرة فحسب، بل لا ترى حتى الكثير من النساء أي خطأ في أزواجهن العنيفين. وطبقاً لدراسة حديثة أجراها في إيطاليا «المسح الوطني لصحة الأسرة»، قالت ٥٦٪ من النساء اللاتي شملهن المسح أنه من المقبول أن يضرب الرجال زوجاتهم.

ألا يبرهن العنف الأسري المتفشّي أن العنف الذكوري موجود حيثما كنا؟

إن الأمر كذلك بالفعل. فقد كشفت الإحصاءات، في جنوب آسيا والولايات المتحدة وأوروبا وبلدان أخرى، أن هناك عنفاً متفشياً ضد النساء والأطفال داخل المنزل. ففي العديد من البلدان هناك نسبة كبيرة من الزوجات (٣٠ إلى ٥٠ في

المائة) قد تعرضن للضرب على الأقل مرة واحدة، وبعضهن يتعرضن للضرب بانتظام.

وقد أوضحت البحوث التي أجريت في الهند بواسطة «المركز الدولي للبحوث حول النساء» أن العنف ضد النساء مرتفع (ذكرت قرابة ٥٠ في المائة من النساء اللاتي شملهن المسح أنهن قد خبرن العنف النفسي والجسدي من خلال أزواجهن). وشامل (ذكرت نساء من كل الأعمار والمستويات التعليمية والأقاليم أنهن قد تعرضن للعنف)، وعادي (قالت قرابة ٥٨ في المائة من النساء أن العنف جزء عادي من الحياة الزوجية). والأكثر إزعاجاً، أن البحث قد أشار إلى أن العنف الأسري، أبعد من كونه أمراً خاصاً، فهو معروف لكثرة الزوجين وللجيران كذلك.

ينتشر الاغتصاب داخل العلاقات الزوجية، وكذلك تنتشر إساءة معاملة الأولاد والفتيات، كما ينتشر زنا المحارم بين العائلات. فقد أوردت وسائل الإعلام حالات اغتصاب الآباء وزوجات الأمهات والأشقاء والأخوة غير الأشقاء الأكبر سناً لقريباتهم. وتتفشى الصدمات (التروما) الذهنية والعاطفية والآذى النفسي بسبب هذا الاغتصاب. وتعود ممارسة الرجال لكل هذا العنف ضد النساء وانتشاره على نحو واسع بالأساس إلى حقيقة أن تفوق الذكور وسطوتهم تجد القبول والتسامح. ويسيء الرجال معاملة النساء لأنهم يستفيدون

من سوء المعاملة هذا، ولأنهم يستطيعون الإفلات من عواقب فعلتهم. ويبقى العنف، أو التهديد به، النساء خاضعات وتحت السيطرة الذكورية والمجتمعية.

العائلات تحتاج شركاء لا سادة

يلعب العنف الأسري دوراً مهماً في صياغة هوية الأولاد والفتيات من ناحية النوع. فكلاهما يتعلم من خلال السلوك نمط وحدود سلطة الأبوين، فيرى الأولاد ما سيتمكنون من فعله عندما يكبرون، وتتعلم الفتيات ما ينبغي عليهن قبوله كنساء.

تأمل كلمات هذه الأغنية الشعبية الكلاسيكية الرائجة، التي تمجد السلوك العنيف للعاشق الذكر:

«لا تلوي ذراعي يا حبيبي

لا تكن قظاً معي

إنك تحطم أسورتِي!!».

السبب الوحيد والرئيسي في وقوع الطلاق هو الزواج

في المجتمعات الأبوية، ومن وجهة النظر الأبوية، فإن العنف الذكور مبرر لأن السلطة والسيطرة والقوة والقيادة هي ما يصنع الذكورة. فالرجال يتوقع منهم أن يكونوا معيلين وحماة، ليسوا فقط حماة لنسائهم وأطفالهم، وإنما

أيضاً حماة لشرف ورفاه أسرهم ومجتمعاتهم وأممهم. وهم يعتبرون أن جزءاً من واجبهم كحماة أن يؤدبوا أفراد أسرهم ومجتمعاتهم. وإذا تطلبت هذه الحماية العنف، فلا بأس. وكثيراً ما ينظر الرجال للعنف بوصفه وسيلة للتعامل مع المشكلات، لفرض النظام ولإبراز من يملك السيطرة. بل ينظر بعض الرجال لاستخدام العنف بوصفه واجباً وليس خياراً.

منطقة سلام ...

لا عنف في المنزل

حكّمت دراسة «المركز الدولي للبحوث حول النساء» والتي نشرنا لها آنفاً إلى أن الرجال «الذين يبلغون عن العنف لا يرون أي شيء سلبي في استخدامهم للعنف. ولم تُشر الغالبية الساحقة من الرجال الذين تحدثوا عن ارتكابهم العنف الجنسي أو العنف البدني إلى فقدانهم السيطرة أو ارتكابهم شيئاً يندمون عليه في سياق نزاعهم مع زوجاتهم. وهذا الواقع يدعم إدراك العنف بوصفه وسيلة مشروعة لحل النزاع أو للتفاوض من أجل تحقيق ما يرغبه المرء».

لقد كانت اللامساواة داخل الأسرة، وما تزال، ظاهرة عالمية. تقول آن أوكلي، وهي تشير إلى الأسر في الغرب، إلى الأسرة، على النحو الذي تطورت به في المجتمعات

هناك خوذات تُسمَّى «الفحل» ودراجات نارية تسمَّى «الطقة». وتُسمَّى الملابس الداخلية أو القمصان التي تحمل صورة التمساح «اللوجوس» أي العقل البدني. والبيرة تخرج «الأسد الذي بداخلك» والسجائر تجعلك تشعر مثل رجل «حقيقي». يشاهد الأطفال هذه الصور على التلفزيون يتعلمون كيف يتقبلون الذكورة العدوانية بوصفها النموذج.

الصناعية، هي مزيج من المساواة والاختلاف، ولعلها المؤسسة الأقل ديمقراطية بين المؤسسات المعاصرة. وبهذا المعنى، فالأسرة دكتاتور قاهر في مجتمعات أخرى. وإذا لم يكن هناك إيمان بالمساواة ولا ممارسة لها داخل الأسرة، وإذا كانت الأسر تمارس وتعلم المساواة بين الجنسين فكيف نأمل في وجود المساواة بين النوعين في أماكن أخرى؟

هل هناك مؤسسات إجتماعية أخرى تبني وتعزز الذكورية

المهيمنة؟

نعم، على غرار البوليس والجيش والمؤسسات التي ترتبط بالرياضات العنيفة مثل المصارعة، وكذلك معظم الأعمال والمهن. وحسب ر. و. كورنيل «عندما نلاحظ أن معظم الجنود والمحترفين والإداريين في مجالات الرياضة هم رجال، فنحن لا نتحدث فقط عن مجموعة من الأفراد، بل عن مؤسسات مذكرة. فالثقافة التنظيمية لمؤسسات، مثل الجيش على سبيل المثال، هي ثقافة شديدة الجندرية. وقد كتبت البحوث الاجتماعية الحديثة داخل القوات المسلحة في ألمانيا والولايات المتحدة عن جهود دؤوبة لإنتاج ذكورية هيمنة ضيقة التعريف. وبالمثل، لا تعكس الرياضة ثقافة صورا معينة من الذكورية فحسب، بل تنتج صور الذكورية هذه بشكل مؤار».

ألا تخلق وسائل إعلامنا أفكاراً أبوية عن الذكورة؟

نعم، فالإعلام، مثله مثل التعليم والتفسيرات الدينية، يعزز بدوره فكرة الذكورة والأنوثة. يقول إعلان تلفزيوني هندي عن نوع من الدراجات النارية القوية «هذا ذكر بالتأكيد»، ما يعني ضمناً أن الأنثى ليست قوية، فتعريفك للذكر يعني آلياً تعريفاً لنقيضه.

يروج الإعلام للاتجاهات العدوانية والعنيفة من خلال تصويره للرجال العدوانيين والأقوياء بوصفهم شجعاناً. وتعرض شاشات التلفزيون أكثر حلقات المصارعة عنفاً، ويجمع الأولاد الصغار الصور الفوتوغرافية ويحاولون تقليد المصارعين الذين يضربون أو يصابون رجالاً آخرين؛ فقط من أجل المرح. ويسير الأولاد على درب أبطالهم فيسحقون من هم أضعف منهم، ويصبح الأولاد والفتيات الأضعف أهدافاً سهلة.

للرجال والنساء هويات متعددة: من طائفة وطبقة وعرق وجنسية وتوجّه جنسي وحالة اجتماعية وما إلى ذلك. فرجال الطبقة العاملة والرجال السّود، على سبيل المثال، يملكون قوة اقتصادية وسياسية أقل من نساء الطبقة العليا البيض الثريات. إن الذكورة تتحدّد أيضاً بعمر وطائفة وعرق وطبقة الفرد. لكن يمتلك كل الرجال بعض الامتيازات في نظام الجندر بسبب كونهم رجالاً، ولأن الأيديولوجيا الأبوية تعتبر الرجال متفوقين على النساء فهي توصي بالتراتب، وليس بالمساواة بين الرجال والنساء.

إن الجندر ليس هو المبدأ المنظم الوحيد للحياة الاجتماعية. فالعلاقات الطبقية والعرق والجنسانية والهويات الإثنية والدينية مهمة أيضاً. لذا لا يمكننا القول ببساطة إن الرجال والذكورة لهما امتياز في معظم المجتمعات التي نعرف، وأن النساء والأنوثة مقموعتان. ففي كل المجتمعات هناك مجموعات معنية من الرجال ذات امتياز، وتُسود أشكال معنية من الذكورية: تلك المرتبطة بالرجال المسيطرين. ففي المجتمعات الغربية يَسود الرجال البيض الذين يدور نشاطهم الجنسي حول نسائهم البيضات والشكل الخاص بهؤلاء الرجال من ذكورية. أما أشكال الذكورية المرتبطة بالمهاجر المسلم أو الرجل المثلي فهي مهمشة أو محظورة.

Dubravka Zarkov, SANGAT Report -

إن الأبوية تفعل بالرجال والنساء ما يفعله العرق والبيض وغير البيض. وكذلك تفعل الطائفة والطبقة. إن المشكلة الحقيقية تكمن في هذه النظم الاجتماعية التراتبية وليس في البيولوجيا أو لون الجلد أو الجنس. وعلى من اعتبروا متفوقين أن يتعلموا السيطرة ليحافظوا على سلطتهم وليؤبّدوا هذه النظم الاجتماعية. لذلك لا تحدّد الذكورية العلاقات وسط وبين الرجال والنساء قصص، بل تقوم أيضاً بتحديد العلاقات وسط وبين الرجال، ووسط وبين النساء في بعض الأوضاع. وقد أصبح مقبولا اليوم القول إن النساء يُبدّين في المواقع القيادية في الفضاءات العامة الذكورية نفس العدوانية والقوة والسيطرة التي يبديها الرجال. فالنساء اللاتي وصلن إلى السلطة لم يتردّدن في توسّل الحلول العسكرية لوقف الإجراءات أو الحقوق الديمقراطية أو استخدام التكتيكات الوضيعة غير الأخلاقية لبلوغ أهدافهن. إذن فالذكورية ليست أمرا بيولوجيا!!

لا يمكن للنساء أن يسيطرن على النظم المذكر والعسكرية حين أن يصبحن هن أنفسهن ذكوريات. ف«النسوة القائدات» صحن في شراسة الصقر وشوفينيات لأنهن يمثلن دولهن وقواتها المسلحة: لا النسوة ولا الحركات النسوية. وهن يتصرّن بوصفهن رئيسات دول، أكثر من كونهن نساء أو قائدات حركات نسوية. لأن جمهورهن ليس النساء ولا حركات السلام.

هذا لا يعني سوى أن علينا أن نفهم الذكورة والأنوثة في الرجال والنساء على السواء ، والاعتراف بأنهما ليستا خاصيتين بيولوجيتين ، وإنما بُنيتا وَغِي يمكن أن نجدتهما عند الرجال وعند النساء . على ذلك فإن فهم وتحدي الذكورية يعني في الأساس فهم السلطة وتحدي كل العلاقات والنظم التراتبية .

أليس هناك سبب وجيه لتعريف وفرض الذكورية والأنوثة ، من وجهة نظر هذه النظم الاجتماعية التراتبية؟

نعم بالطبع . من السهل السيطرة على البشر من خلال الأيديولوجيات الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية . إذا ظلت المؤسسات الدينية والمدارس والإعلام تردد أن الرجال والبيض والأثرياء متفوقون ، فسيتصرفون بوصفهم كذلك . وفي المقابل سيتصرف مَنْ قيل إنهم دُونهم أي النساء والسود وأفراد الطبقات الدنيا ، على أنهم الأدنى . إن تأبيد النظم الاجتماعية غير المساواتية وغير العادلة يعني أن عليك تأبيد هذه الفوارق والتراتبات بين الناس .

هناك مَنْ يعتقدون مخلصين أن المجتمعات ستسقط في الفوضى بدون ذلك الفصل الصارم بين أدوار النوعين . وهذا ما كان يقال فيما مضى ضد دعوات إبطال الرّق وإلغاء عزل المنبوذين .

لكن هناك أسباباً أخرى لتعريف الذكورية والأنوثة بهذه الطريقة . فالعمل في المجال العام أو «المجال الذكوري» يتطلب طموحاً ومنافسة وتأكيداً للذات وقسوة ، وكذلك البقاء في السوق . أما خصائص النساء فهي تنتمي بالضرورة إلى المجال الخاص أو المنزلي أو الأنثوي ، وهو المجال الذي يحتاج إلى رعاية وعناية وبناء علاقات اعتماد متبادل .

المرأة التي ترعى بيتاً يفترض أنه مرفأ للسلام والتناغم وملاذ من قسوة السوق ، يجب أن تكون نقيض الرجل «الاقتصادي» . تكتب النسوية الأمريكية نانسي شودورو «يكبر الأولاد ليصبحوا رجالاً عيّنهم على الإنجاز ومهيئين للعمل ، في حين تكبر الفتيات ليصبحن نساء تكيّفت سيكولوجيتهن على الفعل العاطفي داخل وخارج المنزل» .

عندما عيّنت حدود المجالين العام والخاص ، بوضوح وتأكيد كل مجال للرجال والنساء ، فقد إشتمل ذلك الفصل على منطق ما . لكن اليوم ، ومع انخراط النساء الواسع في المجال العام ، مجال الذكور ، لم يعد هذا المنطق صالحاً .

هل تؤيد القول إن هذا التفكير الذي يقول بتفوق الرجال وبونية النساء لم يعد مقبولاً؟
هذا التفكير الأبوي ليس مرفوضاً فحسب ، بل يتعارض

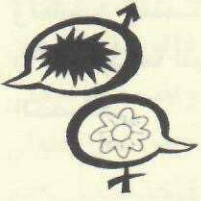
مع القوانين والاتفاقيات السارية اليوم. فطبقاً لدساتير كثير من البلدان وكل اتفاقيات الأمم المتحدة: يتساوى الرجال والنساء. وهذا يعني أن المساواة، التي يُجيزها الكثير من القادة الدينيين، والتي تمارسها العديد من العائلات والمنظمات، هي سلوك غير قانوني. فالיום لا يستطيع الزوج المواطن الحر في بلده أن يمتلك زوجته، التي هي أيضاً مواطنة حرة في بلادها. وهذا يعني أن الأب الهندوسي أو المسيحي لا يستطيع أن يهدي ابنته أو يهبها. ذلك أن جميع بناته مواطنات راشدات كاملات الأهلية، ليس بإمكان أي رجل إهداءهن أو وهبهن إلى رجل آخر. كان هذا ممكناً في الأزمنة السابقة، لأن النساء والعبيد لم يكونوا مواطنين، فسادتهم هم المواطنون وهم من يملكون حق التصويت؛ ربما تكون قوانيننا قد تغيرت، لكن ممارساتنا ونظمنا الأبوية ظلت باقية. لكن يجب على الرجال والنساء اللاتي يؤمن بالمساواة ويحترمن بلدانهن واتفاقيات الأمم المتحدة: يجب عليهم جميعاً أن يناضلوا(ن) ضد سيطرة الذكور وفكرة الهيمنة الذكورية.

هل تقولين بأي شكل بأن الرجال والنساء ينبغي أن يكونوا متماثلين؟ وأن لا تكون هنالك فروق بينهما؟ لا. أنا لا أقول إنه يجب إلغاء الاختلافات بين الرجال والنساء، بل العكس تماماً. أقول إن علينا الاعتراف بأن الرجال ليسوا كبعضهم البعض والنساء لسن بدورهن متشابهات. وأنا أعتقد أن الخلافات والاستقطابات الصارمة

بين الرجال والنساء قد ألحقت الضرر بكليهما وأدت العلاقة بينهما. وتطرح أليسون م. جاز هذا الأمر بوضوح:

يُعرف الرجال في المجتمع المعاصر بوصفهم فاعلين والنساء بوصفهن خاملات؛ الرجال مفكرين والنساء يتصرفن على أساس العنصر؛ والرجال مفحصين قادرين على التعبير والنساء عاطفيات؛ الرجال أقوياء والنساء ضعيفات؛ الرجال مسيطرين والنساء خائعات... إلى آخر الغثيان. بمقدار ما يمثل الرجال والنساء لهذه التعريفات، بمقدار ما يغتربون عن بعضهم البعض، لأن لهم مصالح متعارضة.

سلطة الرجال هي الحفاظ على سيطرتهم، ومصلحة النساء في مقاومة هذه السيطرة. وبمقدار ما تتمثل النساء والرجال لتعريف إنسانيتهم على أساس النوع، بقدر ما يغتربون عن أنفسهم. إن خصم الذكورة والأنوثة تجبر الرجال والنساء على السوء على الإحباط في تنمية بعض مقدراتهم على حساب الآخرين. على سبيل المثال يصبح الرجال ذوي نزعة مفرطة نحو التنافس والتباعد عن بعضهم البعض، وتغدو النساء غيريات يكرسن حياتهن لتربية الأهل. وسواء أقتنعنا بما تقول به المدرسة النسوية الليبرالية من أنه قد أتاحت للرجال الفرصة أكثر من النساء لأن يطوروا قدراتهم الإنسانية، أم أخذنا بما تذهب إليه المدرسة النسوية الراديكالية من أن النساء أكثر إنسانية من الرجال، تظل الحقيقة أن كلا الجنسين قد حيل بينهما وبين النمو الكامل والحر لقدراتهما المتعددة. فالجنسان هما احتمال إنساني مشوه ومنشطر. وكلاهما يحترق عن إنسانيته.



إن دُفع كل الرجال نحو طريقة واحدة للسلوك هو أمر غير واقعي ومؤلم ويفتقر إلى العدالة، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالنساء. إننا مع تنوع أكبر وخيارات أوسع لكليهما: خيارات تقوم على الميول والمقدرات لا الأيديولوجيا أو الميلاد. إننا نؤمن أن بإمكان الرجال أن يكونوا مؤنثين ولطيفين ومستوعبين للآخرين وديمقراطيين وذوي عناية بالغير إذا ما أُتيحت الفرصة لهم وشجعوا على تنمية هذه الخصائص.

اعتراضنا الثاني على هذا التصنيف للناس كذكر وأنثى هو اعتراض على التراتبية التي تصحبهما. فالمجتمع الأبوي لا يقول إن النساء والرجال مختلفان فحسب، بل يقيّمهما بشكل مختلف، فهو يخلق التراتبات والتفاوتات التي لا تؤذي النساء والفتيات وحدهن، وإنما العائلات والمجتمع بكامله. ما أعترض عليه هو الانتقاص من قيمة نصف المجتمع البشري.

يمكن أن تكون لدينا اختلافات في أدوار النوع، بدون أن تكون لدينا سيطرة ذكورية؛ فالمشكلة ليست في الاختلاف، وإنما في اللامساواة والتوزيع غير العادل لمصادر القوة.

ما العلاقة بين الذكورية والجسدية؟
حالتها حال الصفات والاتجاهات والأدوار، تم تعريف

النشاطية الجنسية للذكور وسلوكهم الجنسي بشكل مختلف. فإذا كانت الذكورية قد عُرِفَتْ بوصفها هيمنة وعدواناً، فمن الواضح أنها تطال جميع التفاعلات والعلاقات؛ بما في ذلك العلاقات الجنسية. وتلخص أن أولكي هذا المعنى ببراعة:

إلى جانب عدوانية الرجال في المجالات الأخرى، هناك عدوانيتهم في مجال النشاطية الجنسية، فالرجال يبدأون الاتصال الجنسي؛ ويتخذون خطوة عدوانية بالمعنى الرمزي، إن لم يكن فعلياً، هي الإيلاج، وهو عمل بطولي يمكن أن يفعله الرجل حتى مع رفيقة باردة جنسياً. وهم يتخذون وضعية المسيطر في اللقاء الجنسي. والرجال، لا النساء، هم من يسألون النساء الذهاب معهم إلى الفراش أو الزواج بهن أو الاثنين معاً.

ويفترض أن جنسانية الأنثى تكمن في قابليتها للإختراق، وهذا أمر لا يتعلق بعضوها التناسلي المهيا لاستقبال العضو الذكري فحسب، وإنما يمتد إلى كامل بنيان الشخصية الانثوية بوصفها تابعة وسلبية وغير عدوانية ومستسلمة.

الرجال في معظم العلاقات الجنسية فاعلون تعلق رغباتهم برضاها وما يريدون وما لا يريدون على رغبات ورضا النساء. والنساء في أفضل الأحوال هن الشريك الأصغر والسلبى، وهى نسواها هن سلع خلقت لإشباع رغبات وشهوات الرجال. قد سألت عاملة اجتماعية إحدى النساء في أطراف مدينة

دلهى الهندية الفقيرة عما إذا كانت قد بادرت بالجنس تجاه زوجها. بدت المرأة مندهشة من السؤال، وقالت للعامة الاجتماعية: هل رأيت أبداً قطعة خبز طلبت أن تؤكل؟

هنالك من يعتقدون أن جنسانية الذكر والأنثى تختلفان بسبب الاختلافات البيولوجية/الهرمونية، لكن العديد من الدراسات كشفت أنه لا أساس تشريحي أو فسيولوجي لهذه الاختلافات، بل هي التنشئة الاجتماعية التي تفضي إلى هذه الاختلافات في السلوك الجنسي والاحتياجات والفانتازيات بالنسبة للرجل والمرأة.

في جنوب آسيا؛ العائلات تشدد من قبضتها على الفتيات عند البلوغ، إذ تقيد تحركاتهن واختلاطن بالآلاد والرجال. وتصبح ملابسهن أكثر تعقيداً. وبالنسبة للآلاد فسر البلوغ هي لحظة الإقلاع؛ حيث الحرية والفردية والتحركات الأكثر انطلاقة. وهذه لحظة بداية تعلم الآلاد عن الذكورية والرجولة.

ترتبط جنسانية الرجال بالعدوان والعنف في العديد من النواحي، وأحد أمثلة هذا الارتباط لغة الذكور وتعبيراتهم. فمعظم الكلمات غير المقبولة في اللغة الإنجليزية - four-letter words هي كلمات ذات مدلولات جنسية. وهنالك رجال لا يتفوهون بجملتين، حتى أثناء الحوار العادي.

يسون أن ينثروا الإساءات العنيفة والجنسية. الرجال في جنوب آسيا يستخدمون العبارات البذيئة لكل ما لا يحبون أو ما يثير غضبهم. فشباب شمال الهند، المولعون بالصدقات مع النساء، كما هو ظاهر، يشيرون للنساء باسم cheez (شيء أو حاجة)، أو maal (وتعني السلعة). ومع مثل هذه الاتجاهات لا يمكن توقع المساواة وتبادل المتعة في العلاقات الجنسية. ويخرج «آخرون بحثاً عن طريقة يفترسونها».

وقد استعاد ثيموثي بينيك في كتابه «مغتصبون» وحل اللغة التي يستخدمها الآلاد/الرجال للحديث عن الجنس. يكتب بينيك «أحد الموضوعات الشائكة، خصوصاً وسط الشباب الذين يبحثون عن علاقات جنسية مع النساء، يسير كالتالي: ممارسة الجنس إنجاز، والإنجاز هو الحصول على سلعة ذات قيمة، والسلعة ذات القيمة هي المرأة». ويميل الرجال الذين يتعاملون مع النساء على هذا النحو إلى التركيز في حديثهم على الجنس باعتبار إنجازاً، أو على المرأة بوصفها سلعة. ويستطرد بينيك ليقدم أمثلة من تعبيرات الذكور التي يصبح الجنس فيها صيداً ولعبة وسفارة وسلعة: الجنس انتصار، والجنس حرب.

ومن ثم يطرح بينيك السؤال: ما الذي يميز نشاط الرجال إذا كانوا يعتبرون الجنس إنجازاً، والإنجاز هو الحصول على سلعة ذات قيمة، والسلعة ذات القيمة هي المرأة؟ وحسب

بينك ، فهذا الضرب من التفكير والنشاط الجنسي ، يتصل ، أكثر ما يتصل ، بالمكانة والعداء والسيطرة والسيادة ، أكثر منه بالإشباع . وقد قاده بحثه إلى أنه ليس هناك سوى اختلاف طفيف في تفكير الرجال الذين يمارسون الجنس مع النساء وأولئك الذين يغتصبوهن .

والزوجات في جنوب آسيا ، اللاتي يقدمن أجسادهن لأشباع أزواجهن أو (لمجرد راحتهم) ، واللاتي نادراً ما يجربن الإورجازم أو تبادل المتعة ، قد يتفقن مع من يقولون أن الجنس أمر يتصل بالمكانة والسيطرة والسيادة بالنسبة لأزواجهن وبالنسبة لهن كذلك .

وبما أن الجنس هو حرب في عقول الرجال ، فالنساء اللاتي يرفضن الاستجابة أو الخضوع لمطالب الرجال الجنسية يواجهن عواقب وخيمة . فهناك حالات دُلِّقَ فيها الرجال الحامض الحارق على النساء اللاتي رفضنهم ، بل وقتلوهن ولسان حالهم يقول «إذا لم يكن بإمكانني الحصول عليها فلن يحصل عليها أحد غيري» أو اغتصبوهن قائلين «أحد يرفضني» .

إن العنف الجنسي الذكوري مسؤول عن أغلب المضايقات الجنسية التي تحدث في الشوارع والحافلات والقطارات والمدارس والجامعات والمكاتب في مختلف أنحاء العالم .

لا ليس ثمة مكان تشعر فيه النساء بالأمان؛ سواء أكنَّ في نيويورك أم في دلهي . وقد جعل العنف الجنسي الذكوري أو التهديد به كل الأماكن العامة محظورة على النساء . ولعل بعض الأمثلة من جنوب آسيا توضح هذه النقطة .

في بنغلاديش في يوليو ٢٠٠٢ تحرَّش ثلاثة صبيان في عمر ١٤ سنة بـ(تريشا) ، البالغة من العمر أحد عشر عاماً والتميزة في الصف الرابع ، ودفعوها إلى إحدى البحيرات الساكنة إلى مقتلها . وقد أوردت الصحيفة البنغلاديشية (براتورم ألو) حادثة أخرى وقعت أيضاً في يوليو ٢٠٠٢ ، حيث اغتصبت (جميلة) ، وهي فتاة في العاشرة من عمرها ، بواسطة مجموعة من الأولاد بين الثانية عشرة والسادسة عشرة ثم قتلوها . ويقول تقرير الصحيفة: «الفضاعة التي ارتكبتها هؤلاء الوحوش في حق هذه الفتاة الصغيرة تفوق الوصف . فعندما غابت (جميلة) عن الوعي فقاوا عينيها وقطعوا أصابعها ، ولم يغادروا المكان إلا عندما تيقنوا من أنها ماتت» . ما يصدِّم كل إنسان هو حقيقة أن هذا العنف الجنسي أصبح يحدث في كل مكان ، حتى في الأماكن الريفية التي نادراً ما كان يحدث فيها شيء كهذا .

في بيهار بالهند قاد أربعة أولاد ميسورون سيارتهم الجيب في منتصف التسعينيات إلى إحدى الكليات وطلبوا من إحدى الطالبات مرافقتهم ، وعندما رفضت دهسوها بسيارتهم وقتلوا .

وفي باكستان في عام ٢٠٠٢ أمر كبار القرية سبعة من الرجال باغتصاب امرأة عقاباً لها على اغتصاب شقيقها لامرأة أخرى.

هذه ذكورية عنيفة تجعل النساء يدفعن ثمن كل خطايا الآخرين، لكنهن يدفعن بالأخص ثمن الخطيئة الكبرى، أي واقعة كونهن ولدن إنثاء. لقد جاء زمان تحول فيه اهتمامنا من الضحايا إلى المجرمين؛ من المغتصابات إلى المغتصبين. لكن علينا أن نسأل: كيف تنتج مجتمعاتنا مثل هؤلاء الأولاد القساة الذين يمارسون التعذيب والاغتصاب والقتل بلا وازع، والذين يقتلون من أجل المتعة.

لقد رأيت مؤخراً إعلانات على حوائط وأشجار هيماشال براديش يقول «كبسولات الكوماندوز من أجل فحولة عارمة». ويبدو أن هذه الكبسولات هي نوع من الفياجرا المحلية. ومرة أخرى، فإن التعبير المستخدم في هذا الاعلان عدواني وعسكري. هل يمكن لرجل ذي أداء جنسي يشبه الأداء الحربي لأفراد الكوماندوز أن يكون شريكاً أو حبيباً لطيفاً؟ وبالنسبة لرجل كهذا، هل يكون الفعل الجنسي سوى ضرب من سحق الشريك؟ إنه نوع التفكير الذي يجعل الاغتصاب ممكناً. فيصبح عضو الرجل سلاحاً ينتهك به الآخرين. ولكن قبل أن ينتهك مثل هذا الرجل العقل والجسد الآخرين يكون قد تخطى عن إنسانيته هو.

ويبدو أن الرجال الذين يغتصبون ويغرسون «بذرتهم» في نساء العدو تكون علاقتهم بذريبتهم غريبة كذلك. فهم يعتمدون استخدام الطفل المولود من صلبهم كعقاب للمرأة. ويسمى هذا الطفل طفلاً غير شرعي، وتوصم المرأة لحبلاها به. في حين يحتفى بالرجل المسؤول عن الحمل بوصفه بطلاً لنجح امرأة عدوة. ومن الصعب فهم هذا المنطق العسكري البؤسوي وفهم الرجال الذين يتصرفون وفقاً له.

إن الاغتصاب المنتشر، والذي يكاد يكون داءً عالمياً (ما عدا في بعض المجتمعات القبلية التي تخلو من الاغتصاب)، هو مثال آخر للصلة بين الذكورية والنشاطية الجنسية والعنف. وطبقاً لسوزان براونميلار، التي ألقت أحد أهم الكتب المرجعية حول الاغتصاب، يمثل الاغتصاب فعلاً استثنائياً يقول من خلاله الذكر للأنثى أنها هزمت أو يمكن هزيمتها وسحقها بواسطة قوته أو سطوته المتفوقة. ويوافق معظم من درسوا الاغتصاب على أنه جريمة عنف وعدوان وليس جريمة عاطفية.

لقد استخدم الاغتصاب كسلاح في الحروب والمذابح والشغب على نطاق واسع. فالجماعات المتحاربة تستخدم الاغتصاب لإذلال الجماعات الأخرى ولترسيخ قوتها وتفوقها عليهم. وفي ذات الوقت، إثبات أن رجال العدو غير قادرين على حماية نسائهم، ومن ثم فهم مخشون وأدنى رجولة.

يشير بحث سوزان براونميلار إلى أن الاغتصاب قد استُخدم لقرون في كل أنواع الحروب في مختلف أنحاء العالم. فقد قُدِّر عدد النساء البنغاليات اللاتي اغتصِبْن الجنود الباكستانيون في العام ١٩٧١ برقم يتراوح بين ٢٠٠ ألف إلى ٤٠٠ ألف. وتكتب براونميلار «لكن الاغتصاب الجماعي لنساء البنغال لم يكن حدثاً فريداً. فعدد النساء المغتصابات خلال احتلال بنغلاديش الذي دام لتسعة أشهر، مقارنةً بعدد السكان، ليس أكبر من عدد الاغتصابات التي وقعت خلال شهر واحد من احتلال مدينة نانكينج عام ١٩٣٧. وليس أكبر من عدد حالات الاغتصاب، مقابل عدد السكان في بلجيكا وفرنسا، أثناء تقدُّم الجيش الألماني في الأشهر الثلاثة الأولى من الحرب العالمية الأولى. وليس أكبر من انتهاك النساء في كل قرية في الاتحاد السوفييتي أثناء الحرب العالمية الثانية.

وبالمثل، فقد اغتصبت أعداد كبيرة من النساء الهندوسيات والمسلمات والسيخيات على يد رجال هندوس ومسلمين وسيخ أثناء تقسيم الهند. كما اغتصبت النساء المسلمات في الكثير من المرات بواسطة المتعصّبين الهندوس في الهند المستقلة. واغتصبت النساء الهندوسيات بواسطة المتعصّبين المسلمين في بنغلاديش المستقلة. وتعتقد براونميلار أنه ليس هنالك من فرق كبير بين اغتصاب أزمنة الحرب ودعارة ذات الأزمنة. ففي «تقليد البطل الفاتح

المبجل عبر الزمن، قُدِّمت للمحرّرين أجساد النساء؛ ليس من باب المكافأة أو المغامرة، وإنما لأسباب أكثر واقعية. حرقياً، بسبب الحاجة الاقتصادية الملحة. وقد كتب اثنان من المؤرخين، حول الظروف البائسة التي سادت روما بعد استسلام إيطاليا، أن «النساء الإيطاليات كنَّ ليقدمن أية خدمة مقابل علبة من الطعام».

قالت إحدى النساء المسنّات من باليرمو لعالم الاجتماع نيتيلو دولسي: «كنت سترى طوفاناً من النساء؛ فقد زهر البيزنس عندما كان اليانكي والبيض والسود هنا. ونصبت القوات الأمريكية معسكراتها في المنتزهات. وجاءت زوجاتهم وبزوجاتهم وقبضوا المال. حالما يخرج رجل يدخل مكانه واحد آخر؛ فقد كانوا يقفون في طوابير. وقُدِّم حُرَّاس المنتزهات الأخشية والفرشات لراحة اليانكي.

إنه الإقتصاد الحر، إذ لا يمكن رسم ذلك الخط الواهي وضوح: الخط الفاصل بين إغتصاب أزمنة الحرب ودعارة ذات الأزمنة».

إن صناعة الدعارة التي أنشئت في بانكوك، أثناء حرب فيتنام، من أجل راحة جنود الولايات المتحدة والترفيه عنهم ما تزال مزدهرة. والفرق الوحيد هو أنها تخدم اليوم السحاريين الاقتصاديين القادمين من البلدان ذات القوة

الاقتصادية مثل اليابان وألمانيا. فالنساء يقعن ضحايا الاستغلال أيضاً في حروب الاقتصاد. فهن يُقدَّمن كرشاوى وهدايا أو ترفيه، و«يستهلكن» الأبطال الاقتصاديون المحدثون فيشعرون بنشوة النصر والفحولة.

الرجال العدوانيون لا يسيطرون على النساء فحسب، بل يقهرون الرجال الآخرين أيضاً. ألا يعني هذا أن الرجال بدورهم يعانون بسبب الذكورية المهيمنة؟

صحيح. فالأولاد المهذبون لا يلقون السخرية فحسب، بل قد يستغلون جنسياً أيضاً وقد يُعتدى عليهم بواسطة الرجال الفضليين. فهناك قدر لا يصدق من الفتونة والبلطجة على الشباب المسالمين بواسطة الذكور القساة في الداخلات والمدارس وأماكن العمل والمؤسسات الذكورية الأخرى.

يقدر علماء السيكولوجيا في الولايات المتحدة أن حوالي ١٦٠,٠٠٠,٠٠٠ طفل يتغيبون عن المدرسة يوميا خوفاً من البلطجة. وهناك قصص مماثلة في الهند عن فتونة الأولاد الأكبر سناً على التلاميذ الجدد، مما يقود إلى الأذى البدني بل والموت في بعض الأحيان. وتحدث مثل هذه المضايقات والاستغلال الجنسي أيضاً في الجيش وفي الأماكن التي يتلصق فيها شبان أصغر سناً على أيدي رجال أكبر سناً. ومؤخراً ظهرت تقارير تشير إلى الاستغلال الجنسي للأولاد على أيدي



قساوسة كاثوليك في الولايات المتحدة وأوروبا. والعنف ضد الرجال بواسطة رجال آخرين مُنقَش، وهو مدمر ويغذي نفسه ذاتياً. ويشير البحث إلى أن الرجال المنتهكين في طفولتهم يصبحون عبيدين على الأرجح ويرتكبون الجرائم عند بلوغهم مراحل عرية ناضجة وهكذا تستمر الحلقة الشريرة.

هناك رجال لديهم مشكلة مع فكرة الذكورية المهيمنة، ولأنه ليس بإمكانهم العيش وفق أفكار الذكورية الفظة، فهم يعانون عاطفياً واجتماعياً. فالتعبير المفرط عن الرجولة قد تكون له تأثيراته الكارثية على الرجال. ولعلنا نكوّن فكرة ما عن مدى هذا القلق من خلال ملاحظة العدد الكبير من الإعلانات في الهند عن الأطباء والمعالجين الذين يزعمون أن بإمكانهم مساعدة الرجال في التغلب على مشكلاتهم الجنسية وكونهم ليسوا رجالاً بما يكفي. والرجولة هنا تساوي الأداء الجنسي، الذي بدوره يعادل السلطة على النساء وعلى الرجال الآخرين. والرجل الذي لا يمكنه الأداء جنسياً يُسمى «عاجزاً» ويُعتبر ضعيفاً لا حول له، وبكلمة: (الرجل). وطبقاً لهذا المقياس ففوة الرجل وكفاءته تكمنان في عضوه التناسلي. فالعجز عند الرجل ليس نقصاً فقط، بل هو خزي.

حتى اللحظة، اعتبرت الذكورية شيئاً إيجابياً وناجحاً يضيف الامتيازات على الأولاد والرجال. لكن يبدو الآن أن هذه الذكورية تؤذيهم أيضاً. هل توسعت في هذه النقطة؟

يتمتع الأولاد والرجال بالكثير من الامتيازات والقوة في ظل الأبوية. فهم يسيطرون على كل المؤسسات المجتمعية ومعظم الموارد المادية. وطبقاً لإحصائيات منظمة العمل الدولية، يتحكم الرجال عموماً في ٩٩٪ من جميع الممتلكات ويحصلون على ٩٠٪ من الدخل الموزع في حين يقومون بـ ٣٣٪ فقط من إجمالي العمل في العالم. ويحتل الرجال ما يفوق ٩٠٪ من مقاعد البرلمانات في العالم وعلى ما يزيد عن ٨٠٪ من المواقع الإدارية. لكنهم أيضاً يرتكبون حوالي ٩٠٪ من الجرائم العنيفة، وحوالي ١٠٠٪ من حالات الاغتصاب.

لكن سيطرة الرجال لا تتحقق بدون ضغوط أو مشكلات فالجندرة والقبولية تعتل وتقيّد، ليس خيارات الفتيات والنساء وحدهن، بل خيارات الأولاد والرجال أيضاً. ولئن يكون المرء معيلاً وحامياً للأسرة، فهاتان خاصيتان من خواص الذكورية التي تخلق ضغوطاً هائلة على الشخص ومن يمسكون بالسلطة هم دائماً خائفون من فقدانها، وهم يعانون الضغط المستمر من أجل الدفاع عن هذه السلطة وتقادي الضعف.

وكما تكتب سارة وايت «تكشف الكثير من الدراسات، على خلاف الصورة المتخيلة للسلطة الأبوية الراسخة، أن الذكورية هشّة وموقّعة؛ شيء عليك الفوز به ثم الدفاع عنه، وهي شيء تعاني من التهديد المستمر بفقدانه. فالذكورية لا تبدو بالتأكيد معتمدة على نفسها ومستقلة. على العكس يبدو أن الذكورية تعتمد كثيراً على تقدير الآخرين، وهي هشّة أمام احتمال الهجوم عليها بأفعال الأنثى السخيفة الجالبة للعار».

تدور أدوار الرجال حول الأداء والإنجاز؛ فالناس ينظرون إليهم، وهم ينظرون إلى أنفسهم، من زاوية الوظائف والمواقع والأنشطة. ونتيجة لهذه التوقعات فهم يقيمون حساسيتهم ويحاولون أن يكونوا خشنين، متفادين التعبير عن مشاعرهم والتحدث عن بواعث قلقهم الشخصي وشكوكهم لأصدقائهم. هناك نوع من الإخفاء العاطفي يقع على الأولاد والرجال؛ أنهم يجبرون على ارتداء أقنعة القوة والخشونة وعلى أن يصبحوا غرباء عن أنفسهم. ولأن الرجال ولدوا بالسلطة والمكانة فهم يتعلمون الدفاع عنهما. فمن يملكون السلطة ويؤمنون الحفاظ عليها لا يسمحون لأنفسهم بالضعف.

وطبقاً لـ آن أوكلي؛ يبدو الرجال مكشوفين بشكل خاص أمام الأمراض التي يسببها الضغط الاجتماعي. وهي تذهب إلى أنه لو كانت النساء يعانين من مكانتهن كمواطنات

من الدرجة الثانية ، فالرجال يعانون من تمتعهم الزائد بالامتيازات:

يكشف الضغط الذي يسببه لعب دور الذكر في الحضارة الحديثة عن علامات الوصول إلى شفير الهاوية . فالأمراض الناتجة عن الضغوط الاجتماعية تقتل المزيد من الرجال مقارنة بالوضع في بداية القرن العشرين . وبالنسبة والتناسب ، فقد توفي في عام ١٩٩٠ في الولايات المتحدة ١٧٧ رجلاً من بين كل ١٠٠.٠٠٠ بأمراض القلب ، مقابل ١٥٩ امرأة ، بينما كانت الأرقام في ١٩٥٣ هي ٣٨٢ و ٢٢٥ للرجال والنساء على التوالي . كما كانت قرحة المعدة وراء ٣,٢٪ من وفيات الرجال لكل مائة ألف من السكان الذكور في عام ١٩٠٠ وارتفع الرقم إلى ٨,٦ في ١٩٥٣ . في حين كانت الأرقام الخاصة بالنساء في السنتين المعنيتين مما ٣ و ١,٩ . وبالنسبة لقرحة المعدة فقد زادت الأرقام الخاصة بالرجال إلى أكثر من الضعف ، بينما تراجعت الأرقام الخاصة بالنساء . وفي حين كان السبب الرئيسي للوفاة في الغرب في عام ١٩٠٠ م هو الأمراض المعدية (الالتهاب المعوي والانفلونزا والسُّل) ، أصبحت أمراض القلب هي القاتل الأول اليوم .

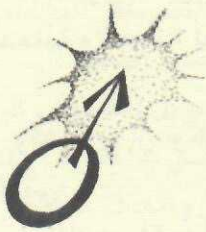
هل من صلة بين الجريمة والذكورية؟

نعم هنالك صلة ، ومن المهم فهم الصلات بين الجريمة والجنوح والذكورية . ففكرة الذكورية تشجع الأولاد والرجال على أن يكونوا مفتولي العضلات وأقوياء جسدياً مثل

سوبرمان أو رامبو . وهي أيضاً تشجع العدوان والتهور والسيطرة . ففي عالم «الحق مع القوة» يستخدم بعض الرجال الأقوياء أجسادهم كسلاح للسيطرة والتهديد والاستغلال . وهذه وصفة للجريمة المنظمة التي تتخذ شكل عصابات الشوارع وسادة العالم

المظلي وكارتلات الجريمة التي تنخرط في كل أشكال الأنشطة الإجرامية العنيفة مستخدمين أسلحة حقيقية . فكل مركز حضري له مافيا التي تنهمك في جرائم صغيرة أو كبيرة تتصل بالابتزاز والمخدرات والبنادق والجنس وصفقات الأراضي والسرقة تحت تهديد السلاح إلخ .

وتخلق البطالة الواسعة والإغتراب وعجز الدولة عن تقديم الخدمات الأساسية والرعاية والعدالة ظروفاً مناسبة لجذب الرجال نحو الأنشطة الإجرامية . وإذا لم تسعفهم قوانين البلد أخذوا القانون بأيديهم وثاروا ضد المجتمع الذي لم يوفر لهم الكرامة: فلا حقوق ولا مستقبل لهم . وفي العديد من الحالات يظهر العنف الذكوري كاستجابة لعنف الدولة أو العنف الطائفي أو العرقي . وتسمى الذكورية التي تتجذر فجأة في سياق الفقر أو التهميش الإنساني أو الديني أو في سياق القهر «ذكورية الاحتجاج» . ونرى هذا الضرب من الذكورية المحتجة في السينما الهندية: أولئك الشباب



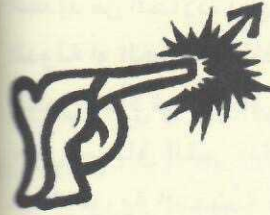
الغاضبون الذين يأخذون القانون بأيديهم لكي يوفروا الحماية والعدالة لضحايا الظلم والاضطهاد.

وتشرح أن أولى العلاقة بين الذكورية والجريمة كالاتي:

هناك صلة بين الذكورية والنزعة الإجرامية لأن هناك الكثير المشترك بين نوع الأفعال المرتبطة بكليهما. فإظهار القوة البدنية والعدوانية والبرهان الظاهري على الإنجاز، مشروعاً كان أو غير مشروع، هي سمات الشخصية الذكورية المثالية. وهي كذلك سمات السلوك الإجرامي. لذلك فقد يكون الخط الفاصل بين ما هو ذكوري وما هو إجرامي رفيعاً في بعض الحالات. وكما يلاحظ ألبرت كوهين في كتابه «الأولاد الجانحون: ثقافة العصابة» فقد يكون السلوك الجانح والسلوك الإجرامي تأكيداً مهماً للذكورية.

أرجو أن تشرحي العلاقة بين الذكورية والنزعة العسكرية.

هناك رابط قديم ووثيق جداً بين الذكورية والعسكرية. فالعسكرية هي أيديولوجيا تقبل دور الجيش في حل النزاع وتجيز استخدام القوة لتحقيق الأهداف الاجتماعية والشخصية، وهذا



يؤثره يشجع الذكورية العدوانية. وتتضافر النزعات العسكرية والأبوية والذكورية وتعزز بعضها البعض. ويدور التدريب العسكري حول تحويل الشباب إلى «رجال حقيقيين» من خلال «قتل الأنثى بداخلهم». وقد كشفت المحللات النسويات أن العدوان والعنف مرتبطان ببنية الذكورية ومتصلان بالنزعة العسكرية. وطبقاً لهؤلاء المحللات: فإن التفكير والقيم العسكرية هي بالضرورة ذات طبيعة ذكورية: وكلاهما، أي التفكير والقيم العسكرية، يؤمنان بتفوق الرجال على النساء. فصورة المنتصر هي صورة رجل، وصورة المهزوم صورة امرأة.

لقد كشفت التحليلات النسوية كيف يمكن جرّ النساء أيضاً إلى التفكير العسكري: «الجندي المثالي» و«الزوجة والأم المثاليتان» يكمل أحدهما الآخر. وكلاهما يتوقع منه أن يضحّي بحياته من أجل الأرض الأم. والوجه الآخر للرجولة العسكرية هي «النسائية» العسكرية. فالنساء المشيعات بالروح العسكرية هن من ينجبن الأبطال الذكور من أجل الحروب ومن يمجدن الجنود الذكور الذين «يحمون» الأمة. وهؤلاء الامهات يُفسرن بأولادهن للذكورية وللعسكرية على السواء ويخضعن لهما.

الذكورية والأنثوية والنزاع

يصبح الجندر المندغم مع الطبقة أو العرق أو الإثنية أو النشاطية الجنسية أو الدين أداة نافذة في أوضاع النزاع. فهناك أشكال مختلفة من الذكورية والأنثوية موجودة في كل المجتمعات في كل لحظة، وهي قائمة في ظل علاقات قوة غير متكافئة. والأفكار السائدة عن الذكورية والأنوثة هي أفكار ضاربة الجذور وتحكم الطريقة التي نفهم بها الحرب والنزاع. وفي كل حرب، هنالك، كما نعلم، رجال يرفضون بشدة أن يكونوا جنوداً. وبالمثل: فمعظم النساء اللاتي أصبحن لاجئات لم يكن يملكن خياراً آخر. فنادراً ما تكون في متناول أيدي النساء المعرفة أو البنية التحتية أو التكنولوجيا الخاصة بالحرب. إنه التشكيل الاجتماعي للجندية بوصفه جزءاً ضرورياً من الذكورية - وليس الأنثوية - الذي ينتج الرجال كجنود والنساء كضحايا. فتلك الأفكار السائدة عن الأنوثة، التي ننشأ عليها ونتشربها من خلال العيش في مجتمعاتنا، لا تربط النساء والأنوثة بالجندية بسهولة.

يبدو أن الأدوار المسندة تقليدياً للرجال والنساء يُعاد إنتاجها، بوجه عام، بل وتعزيزها في سياق الحرب. فالرجال يُنظر إليهم بوصفهم أبطالاً أو ضحايا لأبطال، ويُنظر إلى النساء بوصفهن ضحايا غير مباشرات عليهن مساندة أزواجهن وأولادهن.

Dubravka Zarkov

يمكن أن تكون العسكرية جزءاً من حياة السلم والحرب. قدّمى الحرب وألعاب الفيديو العنيفة المخصصة للأطفال تستخدم بشكل رئيسي من قبل الأولاد، هي صناعة تدرّ ملايين الدولارات، وصرخات الحرب في ملاعب كرة القدم هو عرف شائع. وعصابات الأولاد والرجال «تتعارك» طول الوقت، وعلى أوسع نطاق. ويعتقد المحاربون في سبيل الله: سواء أكانوا مسيحيين أم مسلمين أم هندوسيين أو يهوداً، في الذكورية والعسكرية، ويروّجون لهما. وطبقاً لـ نيلام حسن، وهي نسوية باكستانية، فالأصولية هي الشكل الأكثر تطرفاً للأخلاق الذكورية. فهي تمثل إنكاراً لكل ما هو مختلف، ولكل ما هو «آخر». وطبقاً للأصوليين: هناك وجهة نظر واحدة ومنظور واحد وحقيقة واحدة. فالمدارس الإسلامية والاحادات والشاخات الهندوسية تقرّ وتنتج ذكوريات عنيفة. هذه المؤسسات تأخذ الشباب والأولاد إلى عالم ذكوري حصراً، فينشأ هؤلاء الأولاد على وجهات نظر أحادية كارهين للآخر. وفي هذه الجيتوهات الرجالية ينظرون إلى النساء كـ «آخر» أقلّ منهم. ولا تُعتبر النساء شريكات مساويات للرجال. لقد عمّقت الأصوليات من التمايز والتراتب بين الرجال والنساء، بين الذكورة والأنوثة. كما قلّصت القوة المتضافرة للأبوية والعسكرية والأصولية الدينية من فضاءات واختيارات النساء من خلال تعزيز الأيديولوجيا والسيطرة الأبوية.

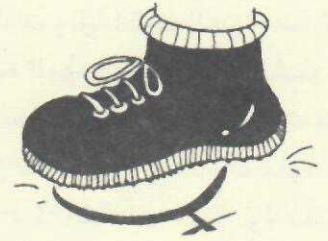
تشرع المجتمعات المنخرطة في حرب محددة أو شاملة إلى
التشديد المفرط على الجوانب الذكورية للثقافة وتقويض كل ما
يعتبر أنثوياً. وكما هو معروف تماماً: تمجّد هذه المجتمعات التجلي
البدني للرجولة، والقدرات القتالية، والشهادة، والبطولة،
والذكورية - أي القيم المرتبطة عادة بالرجال - وتقلل من شأن
السلام والسكينة والتهدئة والحوار والقيم المرتبطة بالنساء. وفي
حين أن أيّاً من هذه القيم ليست من الخصائص الطبيعية للرجال
والنساء، تميل المجتمعات التي تمر بحالة الحرب إلى تقسيم القيم
إلى محورين: ذكوري وأنثوي، وإلى إسناد الفضائل الحربية إلى
الرجال، والضعف والخوف إلى النساء. ويعزز التقسيم الجندي
المكشّف لعمل الحرب فكرة أن النساء «ضعيفات بالطبيعة» و«أقل
قيمة» للمجتمع، إذ ليس بإمكانهن القتال.

على الرغم من أن النساء كثيراً ما صُنعن الأسلحة
وساندن الجيوش - كما استُهدفن بقدر ما استُهدف الرجال
في عصر الأسلحة النووية - فقد ندر تاريخياً مشاركة
النساء في القتال. والثلاثون مليون فرداً الذين يشكّلون
جيوش العالم اليوم هم رجال في أغلبيتهم الساحقة. وفي
العديد من البلدان، يكون الجنود جميعهم رجالاً، وحتى في
تلك البلدان التي تقبل دخول النساء إلى الجيش، فالقادة
رجال على وجه الحصر. كما يسيطر الرجال على وكالات
إنفاذ القانون سواء أفي القطاع العام كرجال شرطة أم
حراس سجون، أم في قطاع الشركات كعملاء أمن.

إذا كانت هنالك علاقة وثيقة بين العنف والعسكرية والأبوية،
فهناك بالمثل، رابط قوي بين ذلك الحلف غير المقدس وما أصبح
يُعرّف باسم «الأصولية». وحقوق المرأة من بين أول ما تسحقه
القوى الرجعية، بما في ذلك الأصوليات الدينية، التي تمتد عبر
العقائد والأمم فقيرها وغنيها. وليس غريباً أن يكون للحركات
النسوية تاريخ من الصراع ضد مختلف ضروب الأصوليات في
مختلف أنحاء العالم. وقد انتقدت النسويات سياسات الهوية التي
رُوّجت لها مختلف أشكال الأصوليات التي نهضت على استراتيجيات
«فرق تسد». وقد أشرنا إلى أن النساء سيفقدن أكثر مما يكسبن من
الاصطفاف مع مثل هذه الأيدولوجيات الانكفائية.

Ammu Joseph & Kalpana Sharma

بالنسبة للنسويات،
هذه كلها أوجه مختلفة
للذكورية المهيمنة والعقول
المعسكرة. ونرى صلة
مباشرة بين العنف المنزلي
والعنف في المجال العام،
بين المنزل والشارع وساحة
المعركة. تقول النسوية الباكستانية روبينا سيجول:



كان دور النساء في الإنتاج قبل الثورة الصناعية، عندما كان هذا الإنتاج يتم داخل العائلة، مركزياً. وكانت معارفهن وعملهن ومهاراتهن الإدارية ضرورية مثلها مثل معارف وعمل ومهارات الرجال. وقد فصلت الثورة الصناعية العائلة عن العالم الاقتصادي الخارجى وهَمَّش هذا الفصل النساء. «وقد كانت رؤية العالم (التي انبثقت عن هذا التحول) ذكورية بامتياز. وهي رؤية للعالم، تنطلق من السوق؛ من عالم الاقتصاد أو «الحياة» العامة. وهي بطبيعتها رؤية خارجية بالنسبة للنساء، قادرة على رؤيتهن كآخر أو كغريب».

لا تمثل المرأة، في العالم الرأسمالي المتمحور حول السوق، الآخر والمهمَّش فحسب، بل هي أيضاً الدُّوني:

يبدو أن المرأة قد تكون، من منظور ذكوري، متخلفة عن الرجل، ليس لأن هنالك دليلاً كافياً على ذكائها الأدنى، وإنما بسبب طبيعتها المحبة والمعطاءة، التي يُنظر إليها كدليل على نكائها الأقل. لقد كان النبيل المتوَّحش عند روسو مثل المرأة المثالية عنده، متعاطفاً ومعتنياً بالآخرين. وقد وجد داروين «أن المرأة تختلف عن الرجل في ميولها العقلية خاصة عنايتها الأكبر بالآخرين وأنانيتها الأقل... ومن المعترف به عموماً أن قوى الحس والإدراك الحسي السريع والتقليد أقوى عند المرأة منها عند الرجل، وبعض هذه الخصائص هي من سمات الأعراق الأدنى، وبالتالي من سمات الحضارات السابقة أو الأدنى».

وفي الحياة الخاصة، كذلك يكون الرجال على الأرجح مسلَّحين و/أو عنيفين. وتقرّ الدراسات التي أجراها علماء الإجرام في الولايات المتحدة (Smith and Smith) أن متوسط حيازة الرجال للبنادق تبلغ أربعة أضعاف متوسط حيازة النساء، حتى بعد أن نُظِم قطاع صناعة البنادق حمّلة لحث النساء على شراء الأسلحة. فقد بلغت نسبة امتلاك الرجال للبنادق في الولايات المتحدة ٤٩٪ في الإحصائيات التي غطت الفترة بين عامي ١٩٨٠ و١٩٩٤. وتشير إحصائيات ١٩٩٣ في نفس البلد إلى أن الرجال يشكلون ٩١٪ من مرتكبي جرائم القتل، و٨٤٪ من المحتجزين بسبب الاعتداء الجسيم (وزارة العدل ١٩٩٤). وفي الأرجنتين، شكّل الرجال ٩٠٪ من المتهمين بالقتل في العامين ١٩٩٢ و١٩٩٣ (المعهد الأسترالي لعلم الإجرام ١٩٩٥) وهذه الأرقام ليست استثناءً.

هل نقول إن هنالك رابطاً بين البراديغم الاقتصادي الحالي والذكورة والذكورية؟

نعم هنالك رابط وثيق بين هذه الظواهر من وجهة نظرنا. فالنموذج الاقتصادي الحالي يشجّع ويعزّز المنافسة والطموح والإنجاز. إذن فالذكورية تسلم نفسها بسهولة لروحية الرأسمالية.



إن الذكورية تعيش، على الأرجح، لحظة صعود في ظل النظم السياسية والاقتصادية اليمينية الراهنة. ولكي يتسنى للرجال البقاء في هذا النظام يتم تشجيعهم على تنمية «غريزة القتل»، وعلى أن يصبحوا «محاربين اقتصاديين». ولكي يتم إعداد الأطفال للعيش في هذه النظم الاقتصادية، تُعلّمهم المدارس المنافسة منذ البداية. فيجري تشجيع التنافس منذ البداية في كل المجالات من رياضة وثقافة ونشاط أكاديمي، بدلاً عن المشاركة والتعاون. وقد اجتاحت فيروس «سحق الآخرين لصالح تقدّم فرد واحد» One-upmanship المدارس «الجيدة» كافة. فأصبحت الفردية هي المانترا في كل مكان، حتى داخل العائلات. وتقود الفردية والمنافسة إلى العدوانية والتركيز على الذات وحماية المرء لنفسه وافتراس الآخرين. ومن يقف أولاً ويبرز الآخرين بريقاً وذكاءً هو البطل، أكثر من ذلك الذي يشارك الآخرين ويعاونهم ويساعد على بناء روح الجماعة. فعالم الاقتصاد اليوم يكافئ القوي والمنتصر.

الميزنس العابرة للقوميات». ويبدو أن هذه الذكورية العابرة للقوميات تتميز بتعاقد النزعة الفردية والولاءات المشروطة (حتى في حالة الولاء للشركة)، وتدني الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين (سوى ما يتصل بتشكيل صورة الشركة). وهي ذكورية تتميز بعقلانية تقنية محدودة (الإدارة) تنأى باضطراب عن العلم، وتشاطبية جنسية تتحرّر باضطراب، مع ميل متزايد لتسليع العلاقات بالنساء (تنعكس في الأعمال الخلاعية التي تقدّم في فنادق رجال الأعمال وفي السياحة الجنسية). إن السياسات الدولية والأعمال متعددة الجنسيات يسيطر عليها الرجال بالكامل تقريباً، وهي مشربة بالذكورية من الناحية الثقافية.

إن ما يبرز في صدارة النموذج الإقتصادي الحالي ليس الرجال البيولوجيين، وإنما الذكورة والذكورية المهيمنة. وهؤلاء الرجال الصاعدون مثيرين للإعجاب وبإمكانهم الإمساك بالسلطة واستخدامها لإحراز الترقى ولترويج منتجاتهم وأيديولوجيتهم. وفي هذه الديانة الاقتصادية: الربح هو الإله وحرية «القتال» في الأسواق الحرة «عبادة». والأكاذيب والحسابات الملفقة والرشوة والفساد مشروعة. جلبت العقود والأسواق والمستثمرين والوظائف. وجرائم الشركات أمر شائع وما فضائح إنرون وورلدكم وزيروكس سوى رأس جبل الجليد العائم.

في عصر العولمة، تتعولم الذكورة بدورها. فثقافة الشركات متعددة الجنسيات يسيطر عليها الرجال، وهي ثقافة مفرطة في ذكورتها. يقول ر. دبليو كونييل: «إن الشكل المهيمن من الذكورية في النظام العالمي الجديد هو الممارسة الجندرية لمديري الأعمال الذين يعملون في الأسواق العالمية والسياسيين والقادة العسكريين الذين يتفاعلون معهم (وقى العديد من الحالات يندمجون فيهم). وسأسمي هذه الذكورية «ذكورية

إن الحروب الاقتصادية تتحول إلى حروب سياسية، حيث يكون نهب الآخرين وسلبهم بغرض السيطرة عليهم اقتصادياً مبرراً لكافة الأعمال وصولاً حتى إلى الحمل عليهم عسكرياً.

إن القوة العسكرية هي أداة للحصول على القوة الاقتصادية وحماية الأخيرة. وهجمات حكومة الولايات المتحدة وإسرائيل ضد أفغانستان والعراق وفلسطين مجرد مثال على ذلك. ويعتقد العديد من المحللين أن الولايات المتحدة هي أكبر إرهابي في العالم، وأن كل الحروب التي شنتها كانت من أجل حماية وتعزيز مصالحها الاقتصادية. إن التفكير البوشوي (نسبة إلى جورج بوش) هو تفكير ذكوري، إذ لا محادثات ولا تفاوض.. فقط اذهب واقتفهم «هات العدو حياً أو ميتاً». وتفعل إسرائيل المثل، ويفعل اليمين الهندوسي الشيء نفسه، وكذلك يفعل الأصوليون المسلمون. ويجري الأقوياء الذين يودون الاستمرار في السلطة محادثاتهم بالبنادق والقنابل.

وفي هذا النموذج مجال محدود لاستيعاب الضعفاء لأسباب تاريخية أو بنيوية مثل السود والداليت Dalits والعالم الثالث والمسنين والنساء. قد يكونون مجالاً للشفقة والإحسان، لكنهم ليسوا شركاء في وضع الأهداف واتخاذ القرارات. وهم يُعتبرون مما يمكن الاستغناء عنه.

هل تؤيد القول إن هذا النظام الاقتصادي والسياسي يهْمُ النساء والخصائص النسوية الإيجابية؟ نعم، يبدو أن هذا ما يحدث. فالكل يجري تشجيعه ليكون طموحاً ومنافساً، والمنافسة تتطلب أن يكون الفرد ذاتياً وعدوانياً، بل وطاغياً. وبهذا المعنى فالنموذج التنموي الحالي يدفع العالم بعيداً عن تلك الخصائص الضرورية للعيش الجماعي والسلام: أي خصائص الرعاية والاعتماد المتبادل. لقد خلق الجشع والمنافسة الكثير من الفقر المدقع والبؤس؛ الكثير من العدوان على البيئة، والحروب والنزاعات الفظيعة وتدمير حياة الجماعة.

أعتقد أن القصة التالية من حياة بوذا تلخص الصراع بين «الذكورة» و«الأنوثة».

في أحد الأيام، كان الأمير سيدهارتا يلعب في حديقة قصره: فجأة سقط طائر أبيض من السماء وقد انغرس سهم في صدره. التقط الأمير الصغير الطائر، ونزع السهم. حاول الأمير أن ينعش هذا الكائن الجريح. وحينها ظهر قريبه ديفاداتا قائلاً: «أعطني طائري». فسأله سيدهارتا: كيف يكون هذا طائرك؟ فأجابه ديفاداتا: «لأنني أسقطته سهمي». فرد عليه سيدهارتا: «لا يمكن أن يكون هذا طائرك لأنه قتلته، إنه طائري لأنني أحببته».

بالنسبة لي، ترمز هذه القصة إلى الصراع بين من يريدون السيطرة من خلال العنف، وبين من ينزعون إلى الرعاية



والمساواة: بين من يستولون على الموارد من خلال الوسائل العنيفة، وبين من يؤمنون بالاعتماد المتبادل والتعايش.

والنساء؟ هل الجنس الأضعف غير مرغوب فيه لأنه لا يستطيع المنافسة بقدر الرجال في غابة «سوقنا الحرة»؟ هل تعتبر النساء عبئاً لأن مشاركتهن في الإنتاج الرأسمالي في الاقتصاديات شديدة التفاوت هاشية؟ هل هن غير مرغوب فيهن لأنهن يشكلن عبئاً اقتصادياً؟

هل ترين رابطاً بين الذكورية المتنامية، وتصاعد العنف ضد النساء وتراجع عدد النساء مقابل عدد الرجال في الهند؟

من المستحيل إثبات هذه العلاقة، لكن بالتأكيد من الضروري أن نبحث لنرى إن كانت موجودة. ففي السنوات الأخيرة كان هناك قدر كبير من القلق بشأن تراجع نسبة النساء مقابل الرجال في جنوب آسيا. فالفتيات والنساء في مجتمعاتنا لسن مهمشات ومستضعفات فحسب، بل تحرم الملايين منهن من الحياة. قبل حوالي عشر سنوات، كتب أمارتيا سن أن هناك حوالي مائة مليون امرأة مفقودة في العالم ومعظمهن في جنوب آسيا والصين. وفي الهند وحدها هناك حوالي ٣٦ مليون فتاة أقل من العدد المفترض. ففي ١٩٠١ كانت هناك ٩٧٥ امرأة مقابل كل ألف رجل في الهند وبعد مائة سنة لدينا فقط حوالي ٩٣٠ امرأة مقابل كل ألف رجل، ورغم أن الهند أفضل تعليماً وتنمية اليوم عما كانت عليه في ١٩٠١. والأسئلة التي يطرحها هذا الوضع هي هل تؤدي أنظمة التعليم والتنمية الحالية، إلى جانب عدم الأمان والعنف المضطردان، بشكل ما، إلى موت الفتيات

يبدو لي أنه عندما يهيمن المال والأسواق، وخاصة عندما يكونان في عنفوانهما، يمضي تهмыш النساء أبعد وأبعد. وهناك ما يدل على أن نسبة واد الفتيات في منطقة «سالم» التي يقطنها تاميل النادو أعلى منها في المناطق التي حل المهر الذي تدفعه العروس dowry فيها محل مهر العريس bride-price. ونسبة الذكور إلى الإناث في إقليمي هاريانا والبنجاب، وهما إقليمان متقدمان اقتصادياً، أقل كثيراً من المتوسط على النطاق الوطني عامة.

وتشير دراسة حول الذكورية والعنف في البنجاب إلى الروابط التالية: «للأرض، بموقعها المركزي في الوجود الاجتماعي، قيمة بوصفها سلطة، إضافة إلى قيمتها الاقتصادية. وللطفل الذكر، بوصفه وارث هذا المورد، قيمة. والطفل الذكر، كحال الأرض، رمز للمكانة الاجتماعية. ومع انطلاق الثورة الخضراء في منتصف الستينيات سعدت قيمة الأرض، وكذلك المكانة الرمزية للطفل الذكر. وقد انعكس هذا التفضيل للطفل الذكر على نسبة الإناث إلى الذكور في المجتمعات الفلاحية».

وتشير الإحصاءات إلى أن نسبة الإناث إلى الذكور في المناطق القبلية أعلى، ويعود هذا على الأرجح إلى أن الرجال والنساء على السواء هم منتجون وعاملون، ويعتمدون على بعضهم البعض. وتشير العديد من الدراسات إلى أن جماعات السكان الأصليين أقل عنفاً وعدوانية وتمييزاً ضد النساء، ربما لأن نظم إنتاجهم أو معيشتهم تتطلب التعاون أكثر من التنافس.

كذلك يقلّ الفصل بين الجنسين والتحكم في حركة ونشاطية النساء الجنسية والفصل بين الجنسين وسط المجتمعات القبلية.

وطبقاً لأمارتيا سن وجين ديريز: نجد أسوأ الإحصاءات والممارسات الجندرية بين الطوائف المحاربة في شمال غرب الهند التي تملك تقليداً قاسياً من الأبوية. وقد مارست هذه الطوائف، وما تزال، وأد الفتيات، وزواج الطفلات، والفصل بين الجنسين، وفرض المهر على الزوجة، وتعدد الزوجات.

وقد أشارت بعض التقارير إلى أن الآباء المسلمين بدأوا ترتيب الزيجات المبكرة لبناتهم عقب الهجمات على المسلمين في قوجارات في ٢٠٠٢ ونهب وحرقت منازلهم ومتاجرهم واغتصاب نساءهم. وقد تزايد طلب المهر من العروسة بحجة

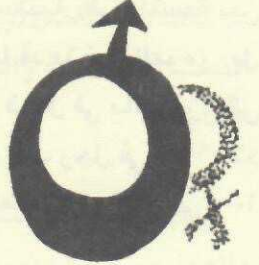
أن عائلة العريس تحتاج إلى المال لإعادة تأهيل نفسها وأن أبوي الفتاة ينبغي أن يمولوا هذه العملية. وفي ظل هذا السيناريو، هل يصعب تصور أن الأبوين لن يلجأ في المرة القادمة إلى الإجهاض الانتقائي ليتخلصا من الفتيات؟ خاصة وأن نسبة الفتيات إلى الأولاد بين الأطفال التي تقع بين صفر - ٦ سنوات هي نسبة منخفضة سلفاً في قوجارات، إذ تبلغ ٨٧٩ أقل من ذلك وفي بعض المناطق. وطبقاً للنتائج الأولية لبعض البحوث في شمال شرق الهند، على سبيل المثال، ألفت فترة العنف الطويلة بظلالها السلبية على النسبة بين الجنسين، ليس لصالح النساء (كما قد يتخيل المرء)، بل ضدهن. وتشير باولا بانيرجي، التي تعمل في مانيبور، إلى انخفاض معدل النساء من ١١٠٥ مقابل ألف رجل في ١٩٦١، ثم إلى ٩٦١ في سنة ١٩٩٠، ثم انخفض المعدل من ٩٣٣ إلى ١٠٠٠ إلى ٨٩٠ إلى ١٠٠٠.

إن الرابط بين العنف والهيمنة وضيق الأفق ينذر بقاء الفتيات على قيد الحياة بالخطر. وبدلاً من أن يضمحل هذا الرابط، فإن العديد من العوامل الأخرى تفاقمه.

هل لك أن تتوسّعي في هذا الموضوع قليلاً؟
إنني أؤمن بأنه، لكي نتصدى لهذه الذكوريات المهيمنة، وما يتصل بها من تراتيبات وعنف، لا بد حدوث تغييرات على مستويات مختلفة. فالنقلة في التفكير الاقتصادي وفي النظم

والهياكل ضرورية، ليس لأن هذا التفكير والنظم والهياكل تروج للنزعة الاستهلاكية، وإنما لأنها تفاقم من التفاوتات بين الناس وتدمر البيئة.

هناك اليوم ما يكفي من الأدلة التي تكشف أن النموذج التنموي الراهن، بتركيزه على النمو الاقتصادي والسعي نحو الربح والفردية، قد وسَّع من الفجوة بين الرجال والنساء؛ بين الأغنياء والفقراء، بين الشمال والجنوب. وبالإضافة إلى ذلك فقد قاد إلى الخراب البيئي. لقد جمَّعت تقارير التنمية البشرية الصادرة عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي إحصاءات من مختلف أنحاء العالم تكشف أن الشكل الحالي



للتنمية قد جعل العديد من الناس بلا وظائف، وبلا صوت، وبلا رحمة، وبلا جذور، وبلا مستقبل. فالיום يتحكم ٣٥٨ بليونيراً في قدر من المال أكثر مما يملك ٢,٥ بليون من الفقراء في كل العالم. وتتجاوز ميزانيات بعض الشركات متعددة الجنسيات ميزانيات الحكومات الوطنية. ويقود هذا الضرب من الاستقطاب وتركز السلطة إلى المزيد من التوتر والصراع والعنف، ويشير إلى أن هذا النوع من التنمية لا يمكن أن يكون مستداماً.

يجب أن يتحول تركيز التنمية من الربح إلى البشر، من المزيد من الأرباح لصالح قلة إلى تحسين عيش الكثيرين. فالتعايش بين البشر صعب، إن لم يكن مستحيلاً، إزاء التفاوتات الكبيرة وانعدام العدالة الاقتصادية. ويطالب الملايين من البشر والتجمعات الكبرى مثل المنتدى الاجتماعي العالمي بتحقيق بنقلة في النموذج الاقتصادي تنقذ كوكب الأرض.

تقول سوزان هاوثرن في مقالتها المعنونة «الإرهاب والعولمة والتنوع الحيوي والبقاء: منظور نسوي»: أرى أن كوكبنا، لو كان قد تحول من التركيز على جني الربح (وإدارة الحرب هي جزء من جني الأرباح، كما كشف اقتصاديون مثل مارين وارين) إلى التنوع الحيوي، لما أمكن وقوع الكثير من هذه الأشياء البشعة أو أمكن حتى التفكير فيها. فالتفكير في الحياة - وهذا وجه أصيل من وجوه استدامة التنوع الحيوي - يعني تغيير الدرجة والاتجاه، وتغيير كل الأوجه الأساسية لأنشطة الحياة. ولو كان التنوع الحيوي هو طموحنا لما جرَّدنا الناس في الجانب الآخر من الأرض مما يملكون لمجرد الحصول على ذلك القميص، أو ذلك الكمبيوتر مثل الذي أكتب عليه الآن هذه السطور، أو تلك الرحلة القادمة بإغوائها الذي يعدني به إعلانها المنشور، أو تلك الفراولة المبدولة في غير موسمها والتي سُحنت لي من على بعد آلاف الأميال ضمن أقل. إن صناعة الملابس، وصناعة الإلكترونيات وصناعة الزراعة المُمكَّنة هي التخوم المشتركة للعولمة. وهذه العناصر، إلى جانب القنابل والعقوبات الاقتصادية، هي صناعة اليأس.

يتفق الكثيرون مع ما ذهب إليه سوزان هاوثرن. والخطوة التالية، لدى من يؤمنون بهذا التحليل، يجب أن تكون هي الانتقال إلى مبدأ يقوم على التنوع الحيوي - فلسفة تقوم على الثراء المحلي وتشمل التنوع الاجتماعي والسياسي والثقافي - إلى جانب التنوع البيولوجي. وتحقيق هذه الغاية لا يكون بالقنابل أو تشييد البنايات ذات المائة وعشرة طوابق، هي غاية يحققها من يقفون إلى جانب التنوع ومن يرون الحياة أكثر ثراء مما يراها ورثة عالم الحرب والربح والعولمة الذكوري.

وهذه النقطة في التفكير التنموي ينبغي أن تصبحها تغييرات راديكالية في منظماتنا وفي نظمنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وهي تتطلب تغييراً قيمياً كبيراً، من تأكيد الذات والمنافسة إلى التعاون والعدالة الاجتماعية، من التوسع إلى المحافظة على البيئة، من الاستحواذ المادي إلى النمو الداخلي.

ألا يتطلب كل هذا أن ننظر إلى النجاح والقوة بمعنى مختلف؟

نعم، ينبغي أن تتغير الكثير من أفكارنا الحالية عن النجاح والقوة. فتعاظم السلطة وكثرة المال وكبر حجم المنظمات هي مؤشرات النجاح اليوم. ولبلوغ مثل هذا النجاح عليك أن تعمل من ١٢ إلى ١٦ ساعة في اليوم ولسبعة

أيام في الأسبوع. وفي ظل هذا السيناريو لا يبلغ النجاح إلا أولئك الذين لا يتحملون أو يشاركون في مسؤولية تربية الأطفال ورعاية العائلة. ولكي تتواءم النساء مع هذا العالم وينجحن فيه، عليهن إما الخروج منه أو إهمال مسؤولياتهن العائلية. والرجال الذين يودون النجاح لا يمكنهم تحمل شيء من مسؤولياتهم كآباء سوى كسب المال للأسرة. وهم مضطرون أن يكونوا غرباء كلية عن أسرهم؛ لأن هذا النظام لا يتيح لهم وقتاً لحياتهم الشخصية. ولكي تنجح النساء في هذا النظام عليهن التواءم مع عالم الذكور، لذلك ليس غريباً أن تنتهي النساء القيادات في الشركات إلى النظر إلى الأشياء والتفكير والتصرف مثل نسخ من الرجال. إن الكافة، رجالاً ونساءً، مجبرون على التواءم مع قالب الشركة.

لقد آن الأوان لتناسب هذه الصناديق الطبائع المتعددة للبشر، بدلاً عن إعادة صياغة البشر ليناسبوا الصناديق. وبدلاً عن تعريف النجاح بلغة المال والسلطة، يمكننا تعريفه بلغة السعادة والصحة العقلية والنفسية والتكيف الاجتماعي وانسجام العلاقات مع ما ومن يحيط بالشخص.

تحدث بحوث الإدارة اليوم عن الذكاء العاطفي، ويقولون إن الذكاء العاطفي مهم للنجاح، إن لم يكن أكثر أهمية من حاصل الذكاء Intelligence Quotient التقليدي. وهكذا فقد تم الاعتراف بأن الخصائص «الأنثوية» - أن يتواصل المرء

مع مشاعره وأن يتفهم مشاعر الآخرين - مهمة للمنظمات المجتمعية. أخيراً، فقد قُيِّمت خبرات النساء على أيدي خبراء ذكور ذوي سطوة. وتم الاعتراف مؤخراً بأن الهمينة الذكورية تؤذي الرجال وتؤذي الشركات، وأن التعاون مهم؛ مثله مثل التنافس، وأن الدفاء في المنظمة يمثل أهمية العقلانية الباردة. دعنا نأمل أن يكسب مثل هذا الضرب من التفكير والممارسة المزيد من الانتشار، وأن نعيد كلنا التفكير بجدية في الذكورية والأنثوية.

لقد أوليت قضية الجندر والتنمية الكثير من الاهتمام لسنوات. ما هي الروابط بين الذكورية والجندر والتنمية؟ من الواضح جداً أن فكرة الذكورية، خاصة الذكورية المهيمنة، تؤثر كثيراً على التنمية، وتنمية النساء على وجه الخصوص. ولأن الأفكار الذكورية تجعل النساء تابعات، لم يصبحن فعلياً شريكات على قدم المساواة في التنمية. فتعليمهن وصحتهن لم تول العناية الكافية، ولم تتح لهن الحقوق والفرصة للسيطرة على الموارد الانتاجية، خاصة الأرض. وقد كان على النساء والحركات النسوية أن يناضلن باستمرار من أجل الاعتراف بإسهاماتهن واحتياجاتهن ومنظوراتهن.

لقد سطا العنف المنزلي (النفسي والبدني والجنسي) ضد الفتيات والنساء على فرصهن في النمو وفي تنمية تقديرهن

لأنفسهن وثقتهن في أنفسهن وفي تحقيق الذات. إن العنف والتهديد بالعنف داخل الأسرة يؤثر على الفتيات/النساء بشكل عميق وأساسي ويعوق تنميتهن وتنمية عائلاتهن.

تؤلّد المضايقة الجنسية غضباً مكبوتاً وشعوراً بالذنب والعار يؤدي من ثم إلى العصبية والمشاعر الدفاعية وعدم الرضا والخوف. ويؤدي السخط والقلق والتوتر المستمر إلى الضغط النفسي والاكتئاب. ويؤدي هذا في النهاية إلى الصداغ المستمر والغثيان والأرق ومشاكل صحية أخرى. لقد أثبتت بحوث حديثة أن المضايقة الجنسية تؤدي إلى انخفاض تقدير الذات وضعف التكيف وتراجع القدرة على الإبداع. والآثار بعيدة المدى للمضايقة الجنسية هي الإرهاق المزمن، وعدم النوم، ونقص الوزن والأمراض الجسدية والنفسية مثل انسداد شرايين القلب. وكل هذه المشكلات تصاحب مشكلات أخرى تتصل بالعمل مثل ضعف التركيز والغياب وانخفاض الرضا عن الوظيفة وانخفاض الفرص.

Dr. A. J. Walker, «Sexual Harassment of Women at
Workplace and their Mental Health

وبالمثل، يؤثر العنف والملاحقة الجنسية في الأماكن العامة والمدارس والكلية والمكاتب على حركة ومشاركة النساء في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية

والسياسية. كذلك يجعل العنف الاستقلال الاقتصادي للنساء صعباً، في حين تحوّل الثقافة السياسية الذكورية دون أن يصبح ناشطاً سياسياً. هكذا تخلق الذكورية ما لا يحصى من العقبات أمام تنمية النساء، لكن على الرغم من هذه العلاقات الواضحة بين الذكورية والتنمية لم يُولّ العاملون في مجال الجندر والتنمية الكثير من العناية للرجال والذكورية.

لقد بدأت الكثير من البرامج التنموية في توفير التعليم وفرص العمل والقروض للنساء بهدف جذبهن إلى المجال العام. وقد بذلت الجهود لإشراكهن في الحكم المحلي ولتدريبهن على القيادة. ونتيجة لانتشار التعليم العالي والمكاسب التي حققتها تدخلات تنموية بعينها، اضطلعت العديد من النساء بالدور الذكوري كـ«معيّلات» لأسرهن. لكن لم تُبذل تقريباً أية جهود لتعليم الرجال قبول واحترام النساء وتبني الأدوار «الأنثوية» في الأسرة. ولست على علم بأية برامج تنموية في جنوب آسيا علّمت أو أدخلت الصبيان والرجال في عملية لتأمل الذات وفهم نوعهم وتغيير تقسيم العمل بين النوعين داخل الأسرة. وفي حين جرى تدريب النساء على إدارة الأعمال، لم يكن هناك تدريب مماثل للرجال على الطبخ ورعاية الطفل والأنشطة الإنجابية (الاجتماعية) الأخرى.

وفي حين تخضع واقعة «كون النساء ضحايا» و«كونهن ناجيات من العنف» للبحث بانتظام، ويحلّ افتقارهن إلى السلطة في العائلات والجماعات الأبوية، لم تعالج سلطة الرجال بالمستوى نفسه. لذلك، ولأن ٥٠ بالمائة فقط من الجندر وعلاقات النوع، قد تم التصدي لها، لم يتغير الكثير. وفي الواقع فقد كانت هنا بعض النتائج السلبية لهذا التصدي.

وفي بعض الحالات زاد «تغير النساء وعدم تغير الرجال» من العبء الواقع على النساء. فبسبب التدخلات التنموية اضطلعت النساء بمسؤوليات إضافية داخل وخارج المنزل وواصلن تحمل كل أعباء الأنشطة المنزلية ورعاية الأطفال. وسيستمر هذا الاتجاه إلى الأسوأ إذا لم يواكب توجه النساء نحو الوظائف والمشروعات والأسواق والحكم المحلي توجه الرجال نحو المطابخ ورعاية الأطفال.

وفي الحالات التي نجحت فيها النساء في تحقيق الاستقلال الاقتصادي، وقاد هذا الاستقلال إلى تغييرات في علاقات النوع، شعر الرجال بالتهديد إلى حد توجهوا بالعداء تجاه النساء وتجاه تلك المنظمات التي ساندت هذه التغييرات. إن أحد أبرز المشروعات التنموية في العالم هو مشروع بنك جرامين للإدخار والإقراض الموجه للنساء الفقيرات في بنغلاديش. وهناك تقارير، وإن تكن أولية، تشير إلى أن هذا البرنامج

قد ارتبط بتزايد العنف ضد النساء داخل أسرهن. وهناك في بنغلاديش (التي تملك منظمات غير حكومية عديدة ذات قدرة هائلة على الوصول إلى النساء) حالات أخرى لفتيات تلميذات أحرقن على أيدي من لم ترقهم برامج تمكين النساء والفتيات. وتواجه النساء اللاتي يشاركن في المظاهرات العامة المناهضة للعنف والمناحية بالمساواة بين النوعين الانتقاد العلني والعنف البدني.

كما لاحظنا في ما تقدم، فللذكورية صلة بالسلطة وعلاقات القوة. ومن ثم فتحدي الذكورية يعني تحدي علاقات النوع، بل أيضاً علاقات الطائفة والطبقة والعنصر وعلاقات شمال-جنوب. وبإمكان المرء أن يرى رأي العين تدخّل التراتبات المختلفة لهذه السلطة في جنوب آسيا، خاصة في الهند. فعلى سبيل المثال، كثيراً ما يغتصب رجال الطوائف والطبقات العليا نساء الطوائف أو الطبقات الدنيا. لذلك ترقى تحركات النساء ضد الاغتصاب إلى تحدي، ليس سلطة الرجل، بل أيضاً سلطة الطوائف والطبقات العليا. وكذلك تتحدى المشاركة الواسعة لنساء الطوائف الدنيا في الحكومات المحلية التراتبات الطائفية، مما يقود إلى المقاطعة الطائفية أو العنف ضد هؤلاء النسوة. فعلى سبيل المثال، لم تمثل التعبئة الواسعة والناجحة وسط النساء ضد بيع الكحول في أندھرا براديش تحدياً لتعاطي الرجال للكحول، وإنما كانت تحدياً لسلطة ملاك محلات الكحول

من رجال الطوائف/ الطبقات العليا وتلك الفئة الفاسدة من السياسيين ورجال الشرطة ومافيا الكحول. وهنا كانت النساء تواجهن العديد من الذكوريات وتراتبات السلطة في أن واحد.

في العديد من نواحي جنوب آسيا، كان هناك عنف إثني ومجتمعي متزايد. والعمل مع النساء في هذه الأوضاع يشمل التعامل مع قضايا الأقلية-الأغلبية وسياسات الهوية، ذلك أن العنف المجتمعي والعنف على أساس النوع يسيران يداً بيد.

ومن ثم يحتاج من يعملون على قضية النوع والتنمية إلى فهم الكيفية التي تعمل وتتفاعل بها مختلف تراتبات السلطة ومختلف أنماط الذكورية. وفي حين تتصدى منظمات التنمية للتفاوتات بين النوعين، يمكنها، بل وعليها، كشف وتحدي التفاوتات والحالات الأكثر حدة لإنعدام العدالة.

تقول سارة وايت:

«لا يعني طرح قضية الذكورية التركيز فقط على الرجال، بل على المؤسسات والثقافات والممارسات التي تغذي اللامساواة بين النوعين؛ إلى جانب أشكال السيطرة الأخرى مثل العنصر والطبقة. ويتضمن هذا مساءلة الأبعاد الرمزية والمادية للسلطة. وهذا يعني العمل على والاعتراف بالروابط

بين المهني والشخصي، بين سياسات المؤسسات والنظام العالمي. وتضم هذه العملية الرجال والنساء؛ السود والبيض، الفقراء والأغنياء لبناء تحالفات استراتيجية لا تقوم ببساطة على (من أين ينحدر هؤلاء الناس؟)، بل (إلى أين هم يريدون الذهاب؟).

فيما يتعلق بمنظمات التنمية، هناك قضايا أخرى تتصل بالذكورية. فعلى الرغم من كل ذلك الحديث عن الجندر، والثقافة، والقيم وممارسات منظمات التنمية، تظل هذه المنظمات، عموماً، ذكورية وأبوية. وهذه المنظمات ليست ذكورية ومهيمنة فحسب، بل تجبر النساء اللاتي ينضممن إليها على التفكير والسلوك مثل الرجال. وللأسف، فقد تزايدت هذه الميول، إذ أصبحت بعض المنظمات غير الحكومية بيروقراطية، وبدأت تعمل مثل مقاولي الباطن في المشروعات الكبرى للبنك الدولي والوكالات ثنائية الأطراف. ومثل هذه المنظمات غير الحكومية تصبح أكثر بيروقراطية وأقل شفافية وتآبى أن تتحدى الأفكار السائدة عن الذكورية والأنثوية بأي شكل واعي أو مقصود. لقد ازورت هذه المنظمات عن التصدي بجدية لتقسيم العمل بين النوعين داخل الأسرة، أو حتى تحدى قضايا مثل العنف المنزلي. وهي أيضاً تتحدّ المعتقدات والممارسات الدينية أو الثقافية التي تقنن وتبارك سلطة الرجال على النساء. لكن بدون التصدي لهذه القضايا المهمة لا يمكن التقدم نحو المساواة

بين النوعين. إن مجرد إدماج النساء في التفكير والبرامج التنموية الراهنة لن يحقق المساواة، بهذه البساطة، بين النوعين أو المساواة والعدالة للفقراء.

ماذا بإمكان الرجال فعله لتحدي عدم المساواة بين النوعين والخصائص السلبية الراهنة للذكورية؟

التغييرات المطلوبة، على المستوى الشخصي والفردى، وعلى المستوى الاجتماعي والسياسي. فالأبوية تستمر، كنظام، لأن هناك رجالاً ونساءً يساندونها، تماماً مثلما تستمر العنصرية لأنها تجد تأييد العنصريين.

لقد ظل الرجال حتى هذه اللحظة جزءاً من المشكلة، وهم مدعوون الآن لأن يكونوا جزءاً من الحل.



وعلى الرجال، خاصةً من هم في مواقع السلطة، أن يُظهروا التزامهم الشخصي بالمساواة بين النوعين، والتزامهم بوقف العنف عموماً والعنف ضد المرأة على وجه الخصوص. وكما تقول تيموثي بينيك فإن الرجال هم من يرتكبون الاغتصاب، وهم من يملكون مجتمعين القدرة على وضع حد له. ويجب أن تُستخدم تلك القوة الهائلة للرجال، فكرياً واقتصادياً وسياسياً، لإنهاء العنف ضد النساء

ولتغيير النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي
تخلق وتؤبد العنف.

وشأنهم شأن الكثير من النساء ، على الرجال مواجهة
أنفسهم ومحاولة فهم كيف يستفيدون من الأبوية ، وكيف
يستمدون الامتيازات والسلطة بسبب استمرار النظام وتآبيد
اللامساواة بين النوعين . وعلى الرجال أن يدركوا أن
اللامساواة بين النوعين لا تفيد ، في التحليل النهائي ، أيًا
كان: فهي تقود إلى انعدام الثقة والأمان وإلى الازدوجية .
وسيحتاج الرجال أن يبدأوا عملية التغيير في علاقاتهم
الشخصية وحياتهم العائلية ونشاطيتهم الجنسية . وهذه
فرصة تاريخية لهم للانضمام لحركة تغيير مسار التاريخ
الأبوي . تقول تيموثي بينيك: «قد تسير عجلة التاريخ
بسرعة ، لكن علينا ان نرى ذلك يحدث بأعجل ما يكون» .
لقد أسست النساء ، عبر العقود الأخيرة ، مجموعات لتنمية
الوعي عبر العالم ، من أجل فهم وتحدي ظروفهن الاجتماعية
والقهر الواقع عليهن . لكن الأبوية والنموذج الاقتصادي
الراهن يؤذي الرجال أيضاً . فالسلطة التي قد يحوزها بعض
الرجال على المدى القصير ، تلحق بهم الأذى على المدى
الطويل ، وتؤذي علاقاتهم وحيواتهم . ومن المهم أن يحاول
الرجال فهم وتحدي قهرهم وسجنهم الخاص .

هل هناك أية مجموعات من الرجال تناقش وتتحدى
الهيمنة الذكورية؟

الأخبار الطيبة هي أن بعض الرجال والمجموعات
الرجالية بدأت في السنوات العشر أو الخمس عشرة الأخيرة
تعيد النظر في الذكورية وفي تشكّلها . وقد ظهر هذا الاهتمام
والانخراط على المستويين الحركي والأكاديمي . ومثلما
ظهر حقل للدراسات النسوية ، هناك اليوم حقل متعدد
الاختصاصات للدراسات الرجالية يحاول فهم الجندر ، خاصة
الذكورية والأنثوية من منظور الرجال . وحقل الدراسات
الرجالية متقدم في الولايات المتحدة ، لكنه ينمو في الهند
أيضاً . والرجال الذين يساندون النضالات النسوية من أجل
المساواة يسمّون أحياناً بمناصري النسوية . وهم أيضاً
ينتقدون معايير السلوك الاجتماعي والبنى الأبوية بهدف
دفع جهود النساء الرامية إلى تحقيق المساواة الاقتصادية
والسياسية .

وحالهم حال النسويات ، يؤمن الرجال المناصرون
للمساواة بأن النساء يعانين من اللامساواة والتمييز
والعنف ، في حين يحصل الرجال على الامتيازات والسلطة
كثمار للأبوية . وهم يؤمنون أن النموذج السائد من الأبوية
هو نموذج قمعي ، ليس فقط للنساء بل للرجال أيضاً ، لأنه
يضيّق خياراتهم . ويعتقد الرجال المناصرون للنسوية أنه
على الرجال تحمل مسؤوليتهم عن سلوكهم واتجاهاتهم التي
تعامل الناس حسب جنسهم sexist .

ومثل النسويات، يرغب هؤلاء الرجال في رؤية عالم تقوم فيه علاقات بين الرجال والنساء يسودها السلام والمساواة والثقة والبهجة. علاقات لا يحصر فيها الرجال أو النساء أنفسهم في أساليب حياة متجهمة أو غير صحية أو مدمرة للروح.

هناك مجموعات رجالية في أستراليا وكندا والولايات المتحدة والهند وباكستان تواجه العنف ضد المرأة. ومن ضمن الأنشطة التي تنظمها هذه المجموعات أنشطة مناهضة للعنف ضد المرأة مع الأولاد والشباب في المدارس، وورش عمل حول التحرش الجنسي في أماكن العمل، وحملات للتعليم المجتمعي، وتقديم النصح للذكور من مرتكبي العنف. ومن أمثلة هذه المجموعات، «المنظمة الوطنية للرجال المناهضة للتمييز بين الجنسين» في (الولايات المتحدة)، و«حملة الشريط الأبيض» في (كندا)، و«رجال ضد العنف وسوء المعاملة» في (الهند). والفلسفة الأساسية لحملة الشريط الأبيض هي أنه بينما لا يكون كل الرجال مسؤولين عن العنف المرتكب ضد النساء، يجب أن يتحمل كل الرجال مسؤولية المساعدة على وضع حد له.

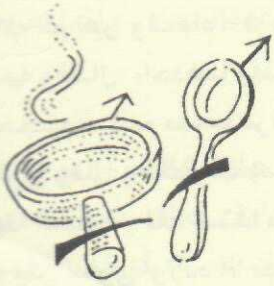
وقد لعب رجال من خلفيات مختلفة دوراً مهماً في تحدي ونقد أنماط الذكوريات المهيمنة، وساعدوا الناس على فهم أن النوع ليس شيئاً بيولوجياً وإنما مركباً اجتماعياً-ثقافياً.

ويؤمن الرجال الذين يعترضون على الذكورية السلبية بأن المساواة بين الرجال والنساء تجعل الحياة أكثر إشباعاً ل كليهما.

هل من شيء آخر بإمكان الرجال أن يفعلوه للهروب من الذكورية السلبية؟

أنا أؤمن بأن إحدى الطرق المهمة لذلك هي أن يشارك الرجال في تربية الأطفال وأعمال المنزل. أعتقد أننا نحتاج إلى تحرك الرجال نحو الأبوة والعمل المنزلي ومطبخ الأسرة. دعونا نعطي المغارف والملاعق لأولادنا حتى لا تكون أيديهم خالية لحمل البنادق، أعطوهم الأطفال ليرعوهم ويلعبوا معهم حتى لا يجدوا وقتاً للعب مع الموت. اجعلوا الرجال أمهات حتى لا يجدوا وقتاً ليكونوا مغتصبين وقتلة وجنوداً وإرهابيين. اجعلوهم «صناع بيوت» بدلاً من أن يكونوا «صانعي مشكلات»، اخلقوا

فيهم «غريزة الحب» لتتزعوا عنهم «غريزة القاتل». لا يمكن للعالم أن يتسامح مع المزيد من الحروب، والمزيد من العنف، والمزيد من مسابقات قطع الرقاب، والمزيد من الرجال والذكوريات العنيفة.



ولأن النسوة اليابانيات ينفقن معظم وقتهن بدون أزواجهن فقد سمين بـ«الأرامل الخضر». وقد قدّمت إحدى القنوات التلفزيونية الهولندية العامة في برنامج عن الآباء الغائبين طفلة تسأل أمها، مَنْ يكون هذا الرجل الذي يأتي للغداء كل يوم أحد ويقطع اللحم؟

وهناكم إحدى قصصي المفضلة التي تمنحني الأمل في أن الرجال يمكن أن يتغيروا. كان غاندي يخاطب مؤتمراً صحفياً في العام ١٩٤٢ في معتزله في واردا. وكان يقول للحاضرين بين كل فينة وأخرى: «اعذروني أيها السادة، عليّ أن أعود إلى داخل البيت لبضع دقائق». وكان يدخل إلى الكوخ ثم يعود بعد ثمان أو عشر دقائق. وعندما تكرر الأمر لثلاث مرات، سأله أحد الصحفيين، لماذا يضيع وقتهم، لماذا لا ينهي هذا المؤتمر الصحفي، ثم يعود إلى داخل كوخه مرة واحدة؟ فأجابه غاندي بتهذيب أن عليه أن يعود كل بضع دقائق لأن زوجته كاستوربا كانت تعاني من إسهال حاد، وأنها أضعف من أن تسير إلى الحمام.

وكما توضح هذه القصة، فقد حاول غاندي أن يوازن في حياته بين أمومه وواجباته العامة. وبالنسبة لغاندي فقد كانت خدمة زوجته، وتنظيف حمام كوخه، والعمل على غزله، في نفس مقام قيادة النضال الأكثر أهمية ضد الاستعمار. وفي التحليل الأخير، مَنْ سيصبح عظيماً وخالداً

إن رعاية الأطفال تقرب الرجال من عائلاتهم وتفك عزلتهم. وسيتخلّص الرجال في خاتمة المطاف من قسوتهم، وميلهم للتأكيد على نواتهم. فرعاية الأطفال تتطلب التزاماً عاطفياً كاملاً، ونكراناً للذات، وتسامحاً، وصبراً، وهي خصائص تجعلنا بشراً أفضل من ما نحن عليه. والآبوة الحميمة والمسؤولة تُثري حيوات الرجال، والنساء، والأطفال. وفي حين يسعى الرجال وراء الرزق، عليهم أن لا يغتربوا عن الحياة نفسها. وعليهم أن يعرفوا أنه لا ينبغي أن يكتفوا بأن يكونوا آباء اقتصاديين وحسب، إذ يجب أن يكونوا آباء اجتماعيين وعاطفيين كذلك.



إليك بقصة عن أب ياباني أنفق كل وقته طلباً للرزق ولم يوفر وقتاً لأسرته. عندما سُئل هذا الأب كم كبر ولداه، فردّ يديه وقال: «أحدهما بهذا الحجم». ثم مدهما مرة أخرى وقال: «الكبير منهما بهذا الحجم». لقد استخدم الأب هذه الطريقة في الوصف لأنه لم يكن يرى أولاده إلا نياماً، فهو لم يكن يدخل البيت خلال النهار ليأراهم.

هم أولئك الرجال القادرون على التوفيق بين «الرجل» و«المرأة» داخلهم. قد يخاف الناس الرجال الأقوياء وشديدي الشكيمة والممسكين بزمام السلطة، لكنهم لا يوقرونها.

دُعْنَا نَعْمُ فِي حُبِّ وَلْنُعْطِ السَّلَامَ فَرَصَةً

مثلما نحاول في الحركات النسوية أن نخلق نوعاً جديداً من النساء (ينعمن بثمار التمكين، ناشطات، وفاعلات لا ضحايا، مساندات لغيرهن من النسوة، ومتعاونات)، نحتاج إلى نماذج جديدة من الرجال ومن الذكورة تسمح بأنماط السلوك والمشاعر المحجورة عليهم الآن؛ نماذج لا تقوم على مفاضلات القوة والسيطرة على النساء والرجال الآخرين.

إذا كنا نريد أن يكون الرجال والنساء متساوين، هل علينا الآن أن نكون نظرة جديدة كلياً لموضوعي الذكورية والأنثوية؟

بلى؛ فتحقيق المساواة بين النوعين تعني إعادة النظر كَرَّةً أخرى في خصائص وقيم «الذكورية» و«الأنثوية» وطرح الأسئلة:

• هل تعني التنمية، أو ينبغي أن تعني، إخضاع الخصائص والقيم «الأنثوية» واعتبار الخصائص

والقيم «الذكورية» هي الأسمى؟

• هل التنمية هي، أو ينبغي أن تكون، رحلة من القيم وأنماط السلوك «الأنثوية» إلى القيم وأنماط السلوك «الذكورية»؟

• هل تعني المساواة بين النوعين والتنمية أنه على النساء دخول الحياة العامة ليصبحن مثل الرجال؟

• هل يحتاج عالم اليوم الموزع بين الاستقطابات، والموبوء بالنزاعات، والخرب إيكولوجياً إلى المزيد من الذكورية والمنافسة، أم يعوزه المزيد من التعاون والرعاية ومراعاة الطبيعة؟

• هل يحتاج عالم اليوم إلى المزيد من الخصائص «الأنثوية» أم المزيد من الخصائص «الذكورية»؟

في الواقع، نحن في حاجة إلى أن نمضي أبعد قليلاً، وأن نسأل، إذا ما كان ينبغي من الأساس أن نطلق على ما نرغب من قيم وخصائص صفة «الذكورية» و«الأنثوية»؟ أليست هذه قيماً إنسانية؟ ألا يحتاج الرجال والنساء على السواء إلى أن ينموا في أنفسهم السمات «الذكورية» و«الأنثوية» الإيجابية؟ ألا ينبغي أن يصبح الرجال والنساء عقلانيين وعاطفيين وذوي كبرياء وحساسين؛ منظمي مشروعات وبناء بيوت، شخصيات عامة وكائنات منزلية؟ وإذا كانت النساء يدخلن باضطراد إلى الفضاءات العامة ويتقلدن المسؤوليات في هذه الفضاءات، ألن يدخل الرجال إلى الفضاءات المنزلية ويشاركوا في مسؤولية الأطفال وحضانتهم وإدارة البيت؟

إن المساواة بين النوعين تتطلب أن يكون كلانا قويا،
ومعتنيا بالآخرين، وغير هباب، وحساس، وعاطفي،
وعقلاني. ولا تستلزم المساواة بين النوعين أقل من تحقيق
التوازن بين «الرجل» الإيجابي و«المرأة» الإيجابية داخل كل
منا. ولا يمكن تحقيق هذا التوازن إلا عندما يدير الرجال
والنساء ظهورهم لشهوتهم للسلطة والسيطرة، وعندما
يكفون عن إساءة استخدام سلطتهم والتخلص من قلة حيلتهم
وتبعيتهم وخنوعهم.

إنني على قناعة بأن منظمات التنمية لم تقم بما يكفي
للحفاظ على وغرس و/أو تعزيز تلك القيم والمبادئ
الإنسانية، مثل الحب والرعاية والمشاركة والعدالة
والمساواة. وإنني لعل قناعة كذلك بأنه ينبغي على الحركات
الشعبية والحركات النسوية والمنظمات غير الحكومية
إنفاق الكثير من الوقت والموارد والجهود على بناء بشر
ذوي قيم، مثلما ننفق في بناء الاستراتيجيات والبرامج.
إن أفضل الاستراتيجيات ستنتهي هباء منثورا إذا كان البشر
الذين يطبقونها نزاعين للسيطرة أو فاسدين أو أنانيين.
علينا مساءلة الشرخ الحائل بين الروحانية والتنمية،
بين الاقتصاد والأخلاق والعلم والفضيلة، كما يجب علينا
بالأخير إزالة هذا الشرخ وتضميده.

إنني أؤمن بأننا لن ننقذ كوكبنا الأرضي إلا من خلال
ثورة ثقافية عالمية. فالتغيير ضروري داخل كل منا، في
علاقاتنا، في عائلاتنا ومجتمعاتنا، وفي مؤسساتنا كافة.
إنني أؤمن بأن عالماً مختلفاً يمكن بلوغه إذا ما عمل كل منا
من أجله.

قد يبدو ما أقوله كحلم غير قابل للتصديق، لكن هذا لا
يقلقني لأنه:

سواءً أوصَلْتُ إلى مبتغاي أم لا
فأنا ما زلتُ جزءاً من القافلة

كما لو أنَّ الرجالَ لا يعانون المشاكل
إذا وَضَعَتِ امرأةٌ على قاعدة تمثالٍ وحاولتَ حمايتها من السَّبا
السَّرس، فأنتَ شوفيني
إذا بقيتَ بالبيتِ وقُمتَ بالعملِ النزلي فأنتَ متَّت

إذا عملتَ أكثرَ مما ينبغي، لن تجدَ أبداً وقتاً لها
إذا لم تعملَ بجِدٍّ، فأنتَ متبطلٌ لا رجاءَ منه

إذا كانتَ تقومُ بعملٍ مُلٍّ مكروٍ براتبٍ مُتدنٍّ، فهذا استغلال
إذا كنتَ تقومُ بعملٍ مُلٍّ مكروٍ براتبٍ مُتدنٍّ، انهض وابتع
عن شيءٍ أفضل

إذا تقدَّمتَ عليها في التَّربية، فهذه محاباة
إذا حصلتَ هي على وظيفةٍ قبلَكَ، فهذا تكافؤُ الفرص

إذا قلتَ لها كم هي جميلة، فهذا تحرُّش
إذا جلستَ صامتاً، فهذه هي لا مبالاةُ الرجال

إذا يَكَيْتَ فأنتَ ...

إلى كل امرأة
إلى كل امرأةٍ كَلَّتْ من الضعف،
وهي تعلم أنها قوية.
هناك رجلٌ أنركهُ شغفه أن يكون قوياً،

في حين يشعر بالانكشاف.

إلى كل امرأةٍ مَلَّتْ دعوتها

بالأنتى العاطفية

هناك رجلٌ استكثروا عليه أن يبكي وأن يكون رقيقاً

إلى كل امرأةٍ تشعر أنها مقيدةٌ إلى أطفالها

هناك رجلٌ لم تُنَّج له متعة الأبوة الكاملة

إلى كل امرأةٍ تخطو نحو تحرُّرها

هناك رجلٌ يرى أن الطريق إلى الحرية صار ممهداً.

نانسي ر. سميت



إذا لم تَبَكِّ، فأنتِ وغدٌ متبلِّدٌ الحِسِّ

إذا أَشْرَتَ لَهَا بِأَصْبَعِكَ، فهذا عَنَفٌ منزلي
إذا أَشَارَتْ هِيَ، فهذا دَفَاعٌ عن النفس

إذا قَرَّرْتَ فِي شَيْءٍ بِدُونِ اسْتِشَارَتِهَا، فأنتِ شَوْفِي
إذا قَرَّرَتْ هِيَ، فهي امرأةٌ متَحَرِّرة

إذا طَلَبَتْ مِنْهَا شَيْئاً يُضْجِرُهَا، فهذه هَيْمَنَةٌ
وإذا طَلَبَتْ هِيَ، فهذا جَمِيلٌ تُشْدِيهِ لَهَا

إذا قَدَّرْتَ الْجَمَالَ الْإِنْسَوِيَّ وَالْجُودِلَّةَ التَّحِيَّةَ الْفُتْنَةَ، فأنتِ

مَهْرُوسٌ

وإذا لم تفعل، فأنتِ مِثْلِيَّ منحرف

إذا رَغِبْتَ أَنْ تَنْزِعَ الْمَرْأَةُ شَعَرَ سَاقِيهَا وَأَنْ تَتَرَنَّدَ،

فأنتِ تمارِسُ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْجَنَسَيْنِ

وإذا لم تَرْغَبْ، فأنتِ غَيْرُ رُومَانِي

إذا حَاوَلْتَ أَنْ تَظَلَّ مَرْنَدَمًا، فأنتِ مُتَمَاتِلٌ

وإذا لم تَتَرَنَّدِ، فأنتِ أُخْرَقٌ

إذا اشْتَرَيْتَ لَهَا زَهْوَرًا، فأنتِ تَسْعِي وراءَ شَيْءٍ
وإذا لم تفعل، فأنتِ خَاوٍ

إذا كُنْتَ فَخُورًا بِإِخْجَارِكَ، فأنتِ مَغْرُورٌ
وإذا لم تفعل، فأنتِ غَيْرُ طَمُوعٍ

إذا أَصَابَهَا الصَّدَاعُ، فهي مَرْهَقَةٌ
إذا أَصَابَكَ، فأنتِ لم تعد تَجِبُهَا

إذا اشْتَرَيْتَهَا مَرَارًا، فأنتِ مَفْرُطٌ
وإذا لم تفعل، فلا بدَّ أَنْ هُنَاكَ أَمْرًا غَيْرَهَا.

لَا عَجَبَ أَنْ يَمُوتَ الرِّجَالُ قَبْلَ النِّسَاءِ
فَهُمْ يَرِيدُونَ ذَلِكَ!!

استكشاف العقلية الذكورية

Exploring Masculinity

كاملا بهاسين

Kamla Bhasin

ترجمة مجدي النعيم

في بداية ثمانينيات القرن الماضي، تبلور مفهوم النوع الاجتماعي المندرج عن مسيرة مستمرة للذكر النسوي هادفا إلى تعزيز المرأة والرجل على السواء، من أسس وهيمتخ النظام الأبوي. ومن أجل إعادة صياغة الأدوار الاجتماعية بينهما لتحقيق المساواة والعدل الاجتماعي. وقد بين مفهوم النوع الاجتماعي المندرج أن المرأة كيان مستقل عن الرجل لها ذاتها ووظيفتها ودورها في المشاركة المتساوية في عملية الإنتاج الاجتماعي. الاندماج السياسي جنباً إلى جنب الرجل الذي يمثل كياناً مستقلاً أيضاً. وأن لكل منهما فصائصه البيولوجية والأدوار التي لا يستطيع أحدهما القيام بها عن الآخر. وإن كانا يكملان بعضهما الآخر. إلا أن هذا الافتراض يعيب إلا يتجاوز مبدوء البيولوجية هذه. وألا ينسحب على الأدوار والوظائف المتشكلة اجتماعياً وثقافياً.

سالم

إصدار ومدة النشر والتوثيق بمركز سالم لمصادر ودراسات المرأة